
مكتبة المغامرات
١
لصوص البحر
محمد شمسي

لصوص البحر

محمد شمسي

(١)

اربعمائـة سنة مضت . كبرت القريـة الصغيرة وصارت مدينة ، ولم تعد تتذكر أكواخها المعلقـة على الاشجار ، ولا أطفالها العراة ، وهم يتقافزون من غصن الى غصن كالسناجب .

كل شيء تغير ونسي ماضيه ، حتى النـاس .. فالناس في المدينة يختلفون عن سكان القرية الصغـيرة قبل قرون .. السنوات تمضي وتمضي . أجيال تولد وأجيال أخـرى تشيخ ويخطفها الموت ، ولكن هنـاك ما يظل في الذاكرة أحيانا .

وخلال هذه السنين الطويلة استطاعت هذه الحكاية أن تصمد أمام الزمن وأن تصير جـزءا من تاريخهـا

الجيل ، فلا يكاد طفل يكبر قليلا حتى يسمعها من أمه أو أبيه ، ولا يكاد هو يكبر ويتزوج حتى يرويها لاولاده كما رويت له من قبل .

ولـو سألت الآن أي طفـل في (لومي) عـن « ايشاكو » لحكى لك القصـة من أولها الى آخرها . فليس هناك من لا يعرف « ايشاكو » وأصدقاءه الاربعة الآخرين « وولي وشوينكو والوري وأكمبا » .

فهؤلاء الخمسة : هم أبطال قصتنا هذه . وهـم الذين استطاعوا في هذه المغامرة المثيرة أن يخلـدوا أسماءهـم وقريتهم وهي تكبر وتصير مدينـة واسعة كبـيرة .

اذن لم تكن « لومي » من قبل مدينة ، بل كانت قرية صغيرة ، منزوية داخل الغابة ، لم تستطع بعد أن تمتد وتتوسع حتى تصل البحر . وكانت الارض رطبة مليئة بالبرك والمستنقعات ، فالسيول والامطار الغزيرة

كانت تتجمع وتكبر داخل الاحراش والاعشاب الطويلة، حتى ليصعب على السكان بناء أكواخهم فوقها .

لهذا وجدوا من الافضل أن يعيشوا فوق الاشجار. فأقاموا أكواخهم المدورة الجميلة عليها . صنعوها من القصب والاغصان ، وربطوها بحبال من الالياف القوية. فصارت منيعة لا تؤثر فيها الرياح والامطار . وجعلـوا بينها سلالم من الحبال أيضا . وصارت كل عائلة تسكن في شجرة كبيرة وتنشيء عليها كوخين أو ثلاثة أكواخ متجاورة .

هكذا كانت السنوات تمضي . كل صباح يهبط الرجال من أكواخهم ويتجولون في الغابة ، يحملون معهم نبالهم المدببة وأقواسهم ويبحثون عن الطيـور والارانب والغزلان .

وربما اجتمع ثلاثة أو أربعة منهم وذهبوا بعيدا عن القريـة حيث تكثر الحيـوانات الكبيرة المفترسة . وهناك ينصبون الشراك .

يصنعون حفرة كبيرة في الطريق ويغطونها بالاغصان وأوراق الاشجار ويضعون فوقها قطعة من اللحم ، ثم يختبئون في مكان ما وينتظرون .

وما أن يأتي الحيوان ، متمهلا ، ويقترب من الكمين حتى يتوقف ، تفاجئه رائحة اللحم أولا ، فيظل يدور ، هنا وهناك ، باحثا عن مصدر هذه الرائحة المثيرة حتى يجدها فيتقدم اليها حذرا ، خائفا ، ولا أحد يعرف الى الآن لماذا يكون الحيوان مترددا وخائفا حين يتقدم ؟ ترى هل يحس بأن في تلك القطعة الصغيرة من اللحم يكمن خطر يتهدده ويتهدد حياته ؟ هل هناك قوى غامضة خفية تحذره وتحاول أن تثنيه ؟.

وكيفما يكون الامر فسرعان ما يفقد الحيوان سيطرته على نفسه : بسبب جوعه وحبه الشديد للحم ، فتكون الخطوات الاخيرة خطوات سريعة وحاسمة ، وفي لحظة أو لحظتين ينتهي كل شيء .

تسقط الفريسة في أعماق الحفرة ويتجمع الرجال

حولها فتبدأ مهمة جديدة تكون صعبة وقاسية على الحيوان المسكين وهو داخل الفخ ، حيث يتهيأ الجميع للقضاء عليه ، ويتلقى في دقائق معدودة الكثير من السهام الجارحة المميتة

وبعد أن يتأكدوا من أنه لن يستطيع المقاومة يهبط واحد منهم داخل الحفرة وبيده حبل فيشد الحيوان القتيل من ساقه ، ويسحب الى فوق ثم يحمل الى القرية .

كم من الاسود والنمور والفيلة لاقت حتفها داخل هذه الكمائن الكبيرة ؟ وكم حاول بعضها بجهاد واستبسال أن ينجو بجلده ويختفي داخل الاحراش في الغابة !

ولكن .. ليس هناك من مهرب . فالحيوان الذي يقع لابد أن يموت ، ولابد أن يتحول الى وجبات شهية لسكان القرية . وتتحول جلود الحيوانات الى ملابس وبسط وأغطية وحاجات أخرى .

هذه هي مهنة الرجال في القرية . ليس هناك دوائر رسمية ولا أسواق ولا مخازن للبيع ولا مهن متنوعة ولا مدارس . الجميع يعملون عملا واحدا متشابها . حتى الاقواس والنبال والسكاكين وقدور الفخار يصنعونها في بيوتهم . كل واحد يصنع حاجته منها . وقد يبرع البعض في عمل من الاعمال فيعرف به ولكن ذلك لم يكن شائعا .

واذا كان باستطاعة جميع الرجال أن يكونوا صيادين مهرة ، وباستطاعة جميع النساء أن يكن مربيات جيدات وطباخات ماهرات ، فلا أعتقد أن أكثر الشيوخ والمجربين كان يمكن أن يكونوا أطباء ماهرين مثلا . فمهنة الطب من المهن النادرة ، وغالبا ما تشتهر عائلة أو عائلتان فقط في كل قرية بمعرفة أسرار هذه المهنة . وفي « لومي » كان العم « عبدول » هو طبيب القرية .

أما الاولاد ، من البنين والبنات ، فلهم دورهم أيضا في جمع الحطب والفواكه والاهتمام بأخوتهم

الصغار ، ولكنهم لا ينسون أن يقلدوا الكبار في أعمالهم ، فهم يحملون أقواسهم ويتجولون في الغابة غير بعيد عن القرية ، وما أن يجدوا طيرا على شجرة أو أرنبا مختبئا في العشب حتى يسارعوا باصطياده، ولكنهم غالبا ما يخطئون الهدف ، فما زالوا بحاجة الى سواعد متينة ودقة في التصويب . وأحيانا يحالف بعضهم الحظ فيعود ومعه أرنب أو طير وسط مهرجان كبير من الفرح والبهجة .

هي ذي حياة القرية وتلك حياة الناس البسطاء فيها ..

أيام متشابهة ، رتيبة ، تمضي بهدوء واستقرار ، والناس سعداء راضون ، لا يفكرون بالمزيد ولا يعيرون العالم الواسع من حولهم أي اهتمام .

وماذا تريد قرية « لومي » الصغيرة أكثر من ذلك ؟ الماء والثمار الطازجة الشهية وحيوان الغابة ، كل ذلك قريب ومتوفر ، والكل يستطيع أن يعيش بسعادة

وهناء ، من دون أن يمد يده الى غيره .. حتى جاء
من تحولت فيه القرية الى عائلة واحدة كبيرة . وظلت
هذه العائلة الكبيرة في حياتها الطيبة الهنية ، الى أن
جاء ذلك اليوم .

●●●

كان يوما لا يختلف عن باقي الايام في شيء ولكن
ما حدث فيه جعله يتميز عن كل ما سبقه وما جاء بعده ،
حتى صار يوما خالدا مشهورا ، وصارت حكايته
تاريخا لامعا في حياة القرية .

ولو حاولنا أن نسترجع ما حدث في ذلك اليوم
من البداية لوجب علينا أن نذكر أمورا غير ذات جدوى ،
وربما عدنا الى الليلة التي سبقته ، فقد يكون لها شأن
في حكايتنا هذه ، وقد يكون جزء من أحداثها سببا في
حصول الاحداث الاخرى .

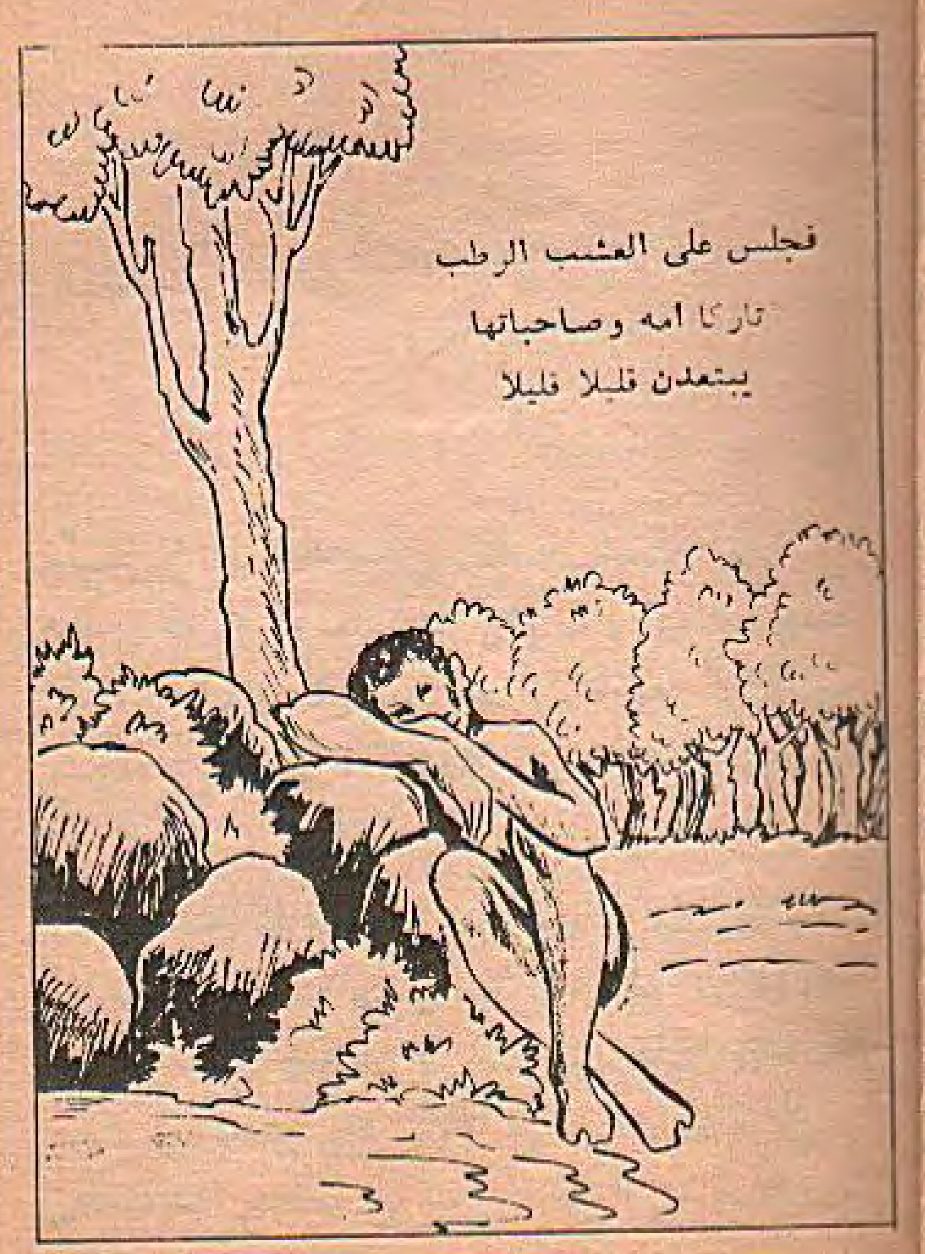
وكيفما يكون الامر فان « ايشاكو » الصغير ، ذا
العشر سنوات ، هو الذي بدأ في نسج أول خيوط هذه

الحكاية . فقد بدأ منذ أيام يسأل أمه عن البحر . وكلما
حدثته عنه طلع عليها بأسئلة جديدة . ولم تكن تعرف
ما الذي يريده ايشاكو من أسئلته الكثيرة عن البحر
حتى مساء ذلك اليوم ؟

فقد أخبرها ، بعد أن علم أنها ذاهبة الى هناك مع
الفجر ، بأنه سيرافقها ، وأنه سيساعدها في جمع المحار
اللذيذ من الساحل .

وعبثا حاولت أن تثنيه عما عزم عليه ، وعبثا كانت
حكاياتها المخيفة وتحذيراتها من مخاطر البحر . فقد
أصر ايشاكو اصرارا لا ينفع معه كل تحذير .

وكان ذلك اليوم يوما سعيدا عند ايشاكو
ومحرجا للأم ، فقد استيقظ مبكرا جدا ذلك الصباح ،
وظلت عيناه مفتوحتين في الظلام .. حتى بانت أول
خيوط الفجر . وعندما قامت أمه من فراشها وهبطت
من الكوخ كان ايشاكو يهبط خلفها بحذر محاولا
الا تقع عيناها عليه .



وهكذا وجد نفسه يسير خلف مجموعة من النساء في اتجاه البحر • وبعد أكثر من ساعة قضاها ماشيا بين الادغال اشتد به التعب ، وأحس بأنه قد ارتكب خطأ في عناده واصراره • ولم يعد بمقدوره أن يعود ، ماذا يعمل ؟

فأمه لم تره حتى الآن ، ولابد له من أن يشعرها بقدومه علها تعينه على المسير ، وعلها تحمله على ظهرها بعض الوقت كي يستعيد قوته وقدرته على السير • ولكنه لم يجد في نفسه الشجاعة الكافية لذلك •

وهكذا أرغم نفسه وتابع المسير حتى هده الاعياء ، فجلس على العشب الرطب تاركا أمه وصاحباتها يبتعدن قليلا قليلا الى ان غبن عن عينيه وخفتت أحاديثهن العذبة شيئا فشيئا •

(٢)

حين استيقظ ايشاكو من اغفاءته ، بعد أن هدّه التعب والاعياء ، لم يكن يعلم بالضبط كم مضى عليه من الوقت وهو نائم ؟ فقد كان الوقت نهارا .. ولكن أية ساعة من النهار كانت ؟.. لم يكن يستطيع تحديد ذلك .

فكر قليلا . وبدا له أن بقاءه في ذلك المكان ، مدة أطول ، مغامرة لا جدوى منها ، وأن عودته الى القرية أو الذهاب الى البحر لا يختلفان عن فكرة البقاء بشيء . فهذه هي المرة الاولى التي يبتعد فيها مثل هذا البعد عن القرية ، وربما لن يستطيع التعرف على

طريق العودة . وهو ، بالتأكيد ، لن يعرف الطريق الى البحر ولا المدة التي سيحتاجها للوصول اليه .

على هذه الحالة بقي ايشاكو صامتا ... حزينا ، ينتظر أن يأتي الفرج ويخلصه من المأزق الذي سقط فيه .

وبينما هو في حيرته ، صامتا مفكرا ، اذ طرق سمعه صوت غريب ينبعث عن يمينه .. صوت يشبه الحشرجة القوية والصرخة المكتومة ، وتحركت الاعشاب والاغصان الواطئة حركة عنيفة .

تجمد ايشاكو لحظة من هول ما سمع .. وفكر بالاختباء لكنه سرعان ما أقلع عن فكرته هذه حين رأى رأسا هائلا يطل عليه من بين الاغصان .

لم يتوصل ايشاكو الى معرفة الحيوان الذي ظهر أمامه بسبب خوفه الشديد وارتباكه ، ولانه كان ينظر الى العينين المتوقدتين اللتين التقتا بعينيه في لحظة خاطفة .

في تلك اللحظة كان عليه أن يقرر . فليس ثمة وقت للتفكير ولا للاختباء . وفي جزء من الثانية تحركت قدماه الى الجهة المقابلة خفيفة مسرعة . فكأن الخوف المفاجىء والرعب الذي داهمه قد ضاعف من قوته وقوة ساقيه .

ظل يركض ويركض ، من دون أن يعير الاغصان التي تعترضه والاشواك الجارحة اهتماما . كان يخوض في البرك ويقفز فوق السواقي العريضة بسهولة ويسر لا يتوفران له في حالته الطبيعية . فقد كان يظن أن الحيوان المفترس الذي اقترب منه وأطلق صيحته الغريبة تلك ما زال يطارده ، ولابد أن ينقض عليه اذا ما توقف أو أبطأ قليلا في سرعته ، وهكذا وجد نفسه منطلقا الى الامام كالسهم ، وحين توقف فجأة .. كان المنظر الذي أمامه باهرا فريدا .

لقد انكشف فضاء الغابة القاتم ، المعتم . وبانت السماء والارض الرملية العريضة أمامه .. انه البحر ..

ها هو أخيرا أمام البحر الذي لم يره في حياته من قبل . كان يسمع عنه فقط أحاديث طويلة بعضها مفرح وسعيد وبعضها الآخر مرعب ومخيف .

لقد كان يسمع قصصا طويلة عن رجال ابتلعتهم الامواج مع قواربهم وهم يصطادون السمك فلم تترك لهم أثرا ، وقصصا أخرى عن آخرين هاجمتهم التماسيح الكاسرة ، بعضهم نجا وبعضهم الآخر وقع فريسة لهذه الزواحف اللعينة .

ولكنه كان يعرف أيضا وجها آخر للبحر ، حيث الاسماك الكبيرة والمحار اللذيذ والاصداف اللامعة البراقة التي تصنعها النساء قلائد وحليا ، ليس هناك أجمل منها ولا أغلى .

خاف أول الامر من أن يضع قدمه على الساحل . فقد بدا له أن هذا الكائن الغريب والكبير جدا يخبىء أسراره ومخاطره في كل مكان وفي كل زاوية ، فما أن يضع قدمه فيه حتى تستيقظ الوحوش الفتاكة الساكنة

في أعماقه .

وتذكر في تلك اللحظة كل القصص المخيفة التي سمعها عن البحر .

وحين نظر الى الامواج المتكسرة على الساحل شعر كأنها حيوانات تريد أن تختطفه وتبعده عن عالم القرية الساحر ، البهي .

ولكن سرعان ما تبددت جميع مخاوفه حين سمع أصواتا أخرى تتكسر على جانبه ، أصواتا لينة وديعة ، ألفها وأحبها واشتاق الى سماعها بعد أن عاش زمنا لا يستطيع تحديده وهو مرعوب ، يجري في الغابة ، تلاحقه أصواتها وأصوات زواحفها وحيواناتها القاسية المفترسة .

وما ان التفت الى جهة الصوت حتى رأى على مسافة منه مجموعة من النساء عرف فيهن أمه ونساء القرية .

اقترب منهن قليلا .. كن منحنيات على الماء يجمعن المحار والاصداف من الساحل . وما ان رفعت احداهن رأسها ورأته حتى أطلقت صيحة غريبة جعلت الاخريات يفزعن ويتهيأن للهروب .

لم يفهم « ايشاكو » لماذا أطلقت هذه المرأة صيحتها تلك ؟ ولم يفهم لماذا حاولن الهرب أول الامر ... ولماذا رأى دهشة أمه ورعبها وهي تتقدم نحوه .

لقد كان منظرا غريبا حقا . فلم يكن ايشاكو وهو في حالته تلك قد أحس بما حصل له بعد هذه المفاجآت المتلاحقة التي مرت عليه . ولو انشق البحر وقتها وخرج حيوان غريب هائج لكان ظهوره أهون من ظهور ايشاكو في تلك الحالة وفي ذلك المكان البعيد عن القرية .

لقد كان ايشاكو دامي الوجه والصدر ، منفوش الشعر . ويبدو منظره وكأنه قد خرج توا من مصارعة حيوان كاسر ترك آثاره على وجهه وجسده . ولم

يكن قد انتبه الى نفسه بعد هذه الاحداث المتلاحقة المريرة .

فبعد أن سمع الصوت الغريب داخل الغابة وأطلق ساقيه للريح ، راح يعبر البرك الآسنة ويخترق الاغصان المتشابكة من دون أن يلتفت الى شيء أو يشعر بما كانت تفعله تلك الاغصان القوية في ملابسه وفي جسده .

وحين وصل البحر كان ما يزال مشغولا عن نفسه بأمور أخرى . فمنظر البحر وهو يراه لاول مرة ، ثم ظهور أمه ونساء القرية ، كل ذلك جعله لا يلتفت الى الجروح والخدوش المنتشرة في كل مكان من جسده ، ولا الى الدماء النازفة الممتزجة بالوحل وهي ترسم على وجهه وصدره العاري أشكالا غريبة ، مفزعة .

جلس ايشاكو ساعة على الساحل يستريح . شرب قليلا من الماء وأكل شيئا مما قدمته له أمه من الطعام ،

وظل ينظر الى البحر المدهش العريض مفتونا بجماله وسعته .

وحين وجد نفسه قد استعاد بعضا من قوته وهدوئه قام وحاول البحث عن المحار كما كانت النساء تفعل . ولكن ما ان وضع كفه داخل الماء وتذوق قليلا منه حتى صاحت أمه تحذره :

ـ ماذا تفعل ؟

ـ لن أتوغل بعيدا ... سأبحث عن المحار هنا في الساحل .

ولكن أمه كانت تعرف ماذا يعني ساحل البحر لفتى صغير كايشاكو ، فأية حفرة مهما كانت صغيرة يمكنها أن تبتلعه وتغرقه ، وأية صخرة في داخله يمكنها أن تزيد جروحه جرحا آخر أليما . ثم ان ماء البحر نفسه ، اذا ما لامس جروحه القديمة فسيهيجها ويثيرها من جديد .

ـ ألا تعلم أن ماء البحر المالح سيثير جروحك ويؤلمك ؟

لم يستطع ايشاكو أن يقول شيئا بعد أن سمع تحذيرات أمه . لهذا جلس بهدوء قرب السلال وراح ينظر الى البحر من جديد .

(٣)

الآن أصبح البحر أليفا ، ودودا . فها هو يمتد ويمتد ولا حدود لسعته وامتداده ، وها هنا بضع نساء حافيات يخضن فيه فيملأن أكفهن بالمحار والاصداف اللامعة البراقة . وها هي السماء العريضة الزرقاء تطبق عليه من جميع الجهات ، مشرقة بهية : فكأنها تتعانق معه عناقا أبديا .

نظر الى فوق فلامست نظراته طائرا منفردا يحلق في أقاصي الفضاء عبر البحر فراح يتابعه وهو يطير .

أيستطيع هذا الطائر الضئيل أن يعبر هذا البحر المترامي الاطراف ؟ أم أن هناك جزرا بعيدة ، هادئة ، سيصلها بعد عناء فيستريح في عشه راضيا سعيدا ،

بعيدا عن ضوضاء القرية وضجيج الغابات ؟

ظل ايشاكو في تأمله ونظراته تطير في الفضاء الرحب وعبر الامواج الفضية البعيدة الى أن سمع صوت امه وهي تناديه وقد تهيأت مع نساء القرية للعودة .

وحين عاد الى القرية ، تلك الليلة ، لم يستطع النوم قبل أن يلتقي بأصدقائه ويحدثهم عن مغامراته تلك ..

اجتمعوا على شجرة قريبة خالية من الاكواخ وحدثهم عن الحيوان المفترس الذي كاد أن يفتك به ، وعن البحر العريض الاخاذ ، ولم ينس وقتها أن يريهم جروحه الكثيرة المنتشرة على وجهه وصدره وساقيه .

وحين سأله صديقه شوينكو عن طعم الماء ، وهل هو صاف حقا أم يشبه ماء الساقية التي تمر من أمام القرية ؟ ضحك ايشاكو وكأنه نسي ذلك ، فقد كانت له مع ماء البحر حكاية ، ومع أنه لم يتذوق منه سوى

قطرات قليلة قبل أن تحذره أمه لكنها كانت كافية ليحكي لهم شيئا عن ماء البحر .

روى ايشاكو تلك الحكاية لاصدقائه كما لو كان يروي طرفة . وقد كانت طرفة حقا ، فقد ظل ايشاكو طول الوقت وهو يحلم بجرعة ماء من الساقية أو الكوز بعد أن تفد الماء القليل الذي كانت أمه ونساء القرية قد جلبنه معهن من هناك .

وحين عاد ، كان أول شيء فعله هو قيامه الى وعاء الماء الكبير المربوط أسفل الشجرة وأخذه مقدار جوزتين ممتلئتين منه . فهم يشربون الماء عادة في أكواب مصنوعة من قشرة جوز الهند بعد قطعها نصفين متساويين .

ظل ايشاكو ينتظر هبوط المساء على القرية . ففي هذا الوقت بالذات يعود أبوه من الصيد مع باقي الرجال .

لقد عزم أن يقص عليه الحكاية بنفسه قبل أن تسردها له أمه بطريقتها . فقد خاف أن يسمعها أبوه من أمه فيعنفه ويمنعه من الذهاب ثانية . وحين أطل أبوه من بين الاشجار ، نسي أن يأخذ من يده الارنبين الصغيرين اللذين كان يحملهما معه ، ونسي أيضا أن يأخذ منه عدة الصيد ويعلقها في مكانها المعتاد على احد الاغصان .

•••

حين أتم ايشاكو قصته أخذ يتفرس في وجه أبيه ليرى تأثير ذلك عليه ، فلم يجد على وجهه أي أثر للسعادة . بل بالعكس ، كان وجهه ينبيء بالحزن وعدم الرضا . ولم يتحدث أبوه بشيء ، بل بقي على صمته . وحين انتهى الجميع من العشاء فتح أبوه فاه وقال موجها الكلام الى أمه :

— اسمعي يا « مامبي » .. ليس صحيحا أن

تدعي ايشـاكو يمضي معك الى البحـر ، ففي ذلك خطر عليـه .

وبقي ايشاكو واجما ، منتظرا من أمه أن تقـول شيئا . ولكنها ظلت صامتة ، مطرقة الرأس . فقـد اعتادت أن تدافع عن أطفالها اذا ما أخطأ أحدهم بشيء وتخفف من حنق أبيهم عليهم . ولكنها في هـذه المرة لم تقل شيئا .

وحين مضى أبوه داخل الكوخ سألها ايشاكو : ما معنى « في ذلك خطر عليـه ؟ » . ألم الحـق بك وأعود معك ؟

قالت أمه : نعم يا ايشاكو ، انك لا تعرف خطورة البحر . ففيه حفر كثيرة في الساحل لا تعرف مواقعها ، ربما تسبب لك الغرق . وفيه الاسماك أيضا ، الاسماك الكبيرة التي تضرب بزعانفها الشبيهة بالسكاكين فتقطع الارجل . وهناك أخطار أخرى لا تعرفها .

وحين ألح ايشاكو على أمه أن تنبئه عن هـذه الاخطار قالت :

ـ انهم يسرقون الاطفال .

في تلك اللحظـة أحس ايشـاكو بذعـر كبير ، وتساءل بخوف :

ـ كيف يسرقون الاطفال ؟ وماذا يفعلون بهم ؟

قالت أمه : هناك أناس غرباء يأتون من بقـاع بعيدة ، يهبطون الى الساحل ويخطفون من يجدونـه هناك . وقد يستطيع الكبار أحيانا الدفاع عن أنفسهم أو الهرب والنجاة . أما الاطفال فيقعون في الاسـر دائمـا .

ـ وأين يأخذونهم بعد ذلك ؟

ـ يضعونهم في قوارب كبيرة ويعبرون بهم البحر الى أرض الباتوريا حيث يسكن البيض ، ولا أحـد يدري ماذا يفعلون بهم هناك لانهم لن يعودوا أبدا .

بقي ايشاكو واجما كأن ما ترويه امه شيء أشبه

بحكايات جدته • الا أن حكايات جدته لم تكن مخيفة دائما ، بل غالبا ما تكون حكايات مسليه وطريفـة ، ليس فيها آلام ولا خوف ولا سرقة من هذا النوع •

ومضت تلك الليلة على ايشاكو طويلة ، مليئـة بالاحلام والكوابيس • وفي الصباح اجتمع مع اصدقائه على تلك الشجرة وأخبرهم بقصة هؤلاء اللصـوص القادمين من وراء البحار •

والغريب أن أحدا لم يتسرب اليه الخوف ، بـل منهم من أخـذ يضحـك بصـوت عال ، ومن هؤلاء « شوينكو » و « الوري » فهما ولدان كبيران تجاوزا الثانية عشرة ، ولهذا فهما ـ كما يقولان ـ أكثر معرفة من الآخـرين •

قال « شوينكو » لايشاكو : ان أباك يريد أن يمنعك من الذهاب الى البحر ، وهذا كل ما في الامر • أما الرواية التي سمعتها من أمك فلا تختلف عن باقي الروايات التي ترويها جداتنا عن العفاريت التي تظهـر

في الظلام ، فليس هناك « باتوريا » ولا لصوص يأتون من وراء البحار •

ثم أضاف شوينكو باسما : هل سمعتم يوما أن أحـدا من القرية رأى بعينيـه تلك الزوارق الكبيرة البيضاء ذات الدخان ؟•• كل ذلك مجرد وهم ، كي يمنعونا من الذهاب الى البحر •

•••

(٤)

صدق الجميع كلام « شوينكو » حتى «ايشاكو» نفسه ، فقد وجد الامر أقرب الى الخيال ، وأن قصة « الباتوريا » ليست سوى خدعة بريئة يرويها بعض الناس ليخيفوا الاولاد ويمنعوهم من التوغل في الغابة بعيدا عن القرية •

وحين توصل الجميع الى هذه النتيجة اتفقوا فيما بينهم على الذهاب الى البحر • فما دام «ايشاكو» قد عرف الطريق الآن فلن يكون الامر عسيرا •

وهكذا كتموا سر هذا الاتفاق عن أهليهم •

وفي صباح اليوم التالي خرجت مجموعة من

الاولاد ، كان ايشاكو يسير في مقدمتهم ، « شوينكو » و وولي و آكمبا و الوري اتجهوا جميعا نحو البحر • في الطريق الذي سلكه قبلهم ايشاكو وأمه وبعض نساء القرية •

كانوا خائفين قليلا ولكنهم تحدوا خوفهم وواصلوا المسير •• ولم يتوقفوا الا لالتقاط بعض الموز والمانكو والبوبو من الاشجار الواطئة في الطريق •

وبعد أقل من ساعتين ظهر أمامهم البحر ، فتوقف الجميع للحظات • والله وحده يعلم ما الذي كان يدور في هذه الرؤوس الصغيرة ؟•

لقد شاهدوا من قبل السواقي الصغيرة والبرك والمستنقعات الا أنهم لم يروا مثل هذا المشهد الاخاذ •• الفضاء الازرق البراق ينطبق على البحر ويشكلان معا عالما ساحرا ، غريبا ، فيه من الغموض مثل ما فيه من السحر والجمال •

ونظر الجميع الى ايشاكو كأنهم ينتظرون منه أن يبدأ الخطوة القادمة . وكان هو أكثرهم هدوءا وتماسكا . ألم يكن هنا منذ يومين ؟ ألم يعد الى البيت ورداؤه مليء بالمحار مما جمعته امه ومما وجده مطمورا في رمال الساحل ؟

ولكن أحدا لم ينتظر ايشاكو . ففي أقل من دقيقة وجد الجميع أنفسهم يخوضون في الماء الصافي وعيونهم مشدودة الى القاع بحثا عن المحار .

أكثر من ساعة وهم يدورون محاولين قدر الامكان ألا يبتعدوا عن بعض ، حتى كادت ارديتهم تمتلىء بما جمعوا من المحار . ثم جلسوا على الرمل يعدونه .

في تلك اللحظة بالذات طرق سمعهم صوت غريب قادم من جهة بعيدة من البحر ، صوت لم تسمعه آذانهم من قبل ، فارتفعت الرؤوس الصغيرة ، في وقت واحد ، والتقت العيون ببعضها كأنها تستفسر عن سر هذا الصوت ...

وقبل أن يتبينوا الامر عاد الصوت ثانية . وفي



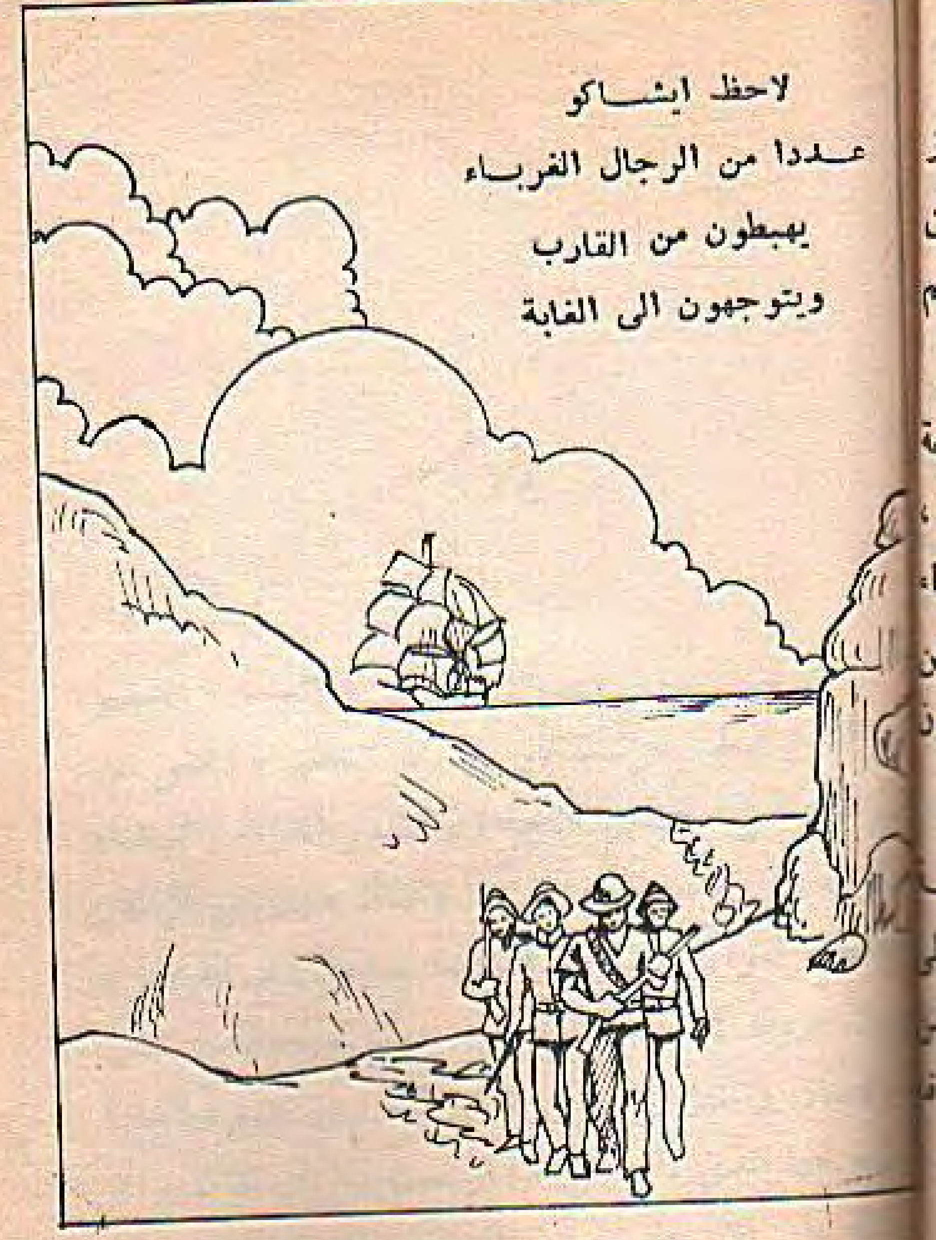
وجد الجميع انفسهم يخوضون في الماء الصافي وعيونهم مشدودة الى القاع

هذه المرة كان أقوى وأشد ضجيجا . وحين التفتوا جميعا الى مصدره أصابهم الذهول ... فقد كان هناك قارب كبير يتجه نحوهم .

فزع الاولاد فزعا شديدا ولم ينتظروا لحظة واحدة كي يتفقوا على شيء . بل وجدوا أنفسهم مدفوعين بالغريزة وبسبب الذعر الشديد الذي انتابهم ، الى الهروب والاختباء خلف الاشجار . ومن ذاك المكان راحوا ينظرون الى القارب وهو يقترب ، حتى صار أمامهم في المكان الذي كانوا فيه قبل قليل .

لقد بدا هذا القارب ضخما ، مخيفا ، ينفث دخانا أسود وأبيض ، واستطاعوا أيضا أن يشاهدوا في داخله بشرا يتحركون .

ولما توقف القارب ودققوا النظر فيه رأوا منظرا غريبا لم يروا مثله من قبل . فكثير من الرجال الموجودين على سطحه الواسع غريبو الاشكال والالوان ، فجلودهم بيضاء تميل الى الحمرة ويلبسون سراويل طويلة وعلى رؤوسهم أغطية هي الاخرى غريبة


لاحظ ايشـاكو
عـددا من الرجال الغربـاء
يهبطون من القارب
ويتوجهون الى الغابة

الشكل •

تذكر « ايشاكو » وهو ينظر من خلف شجرة موز كبيرة ما قالته أمه ، وتأكد من أن هؤلاء هـم الذين عناهم أبوه بتحـذيره • فهـا هي أشكالهم وملابسهم الغريبة تنطبق فعلا مع كل ما ذكر •

حين حدق ايشاكو جيدا وجد في القارب مجموعة من الرجال والنساء والاطفال السود جالسين بصمت ، بعضهـم مكبـل بالاغلال وبعضهـم ـ من النساء والاطفال ـ يبكي بشـدة ويحاول الافلات ، ولكن رجالا قساة يمسكون عصيا غليظـة يمنعونهم ويهوون عليهم ضربا ، بلا شفقة ولا رحمة •

وحين لاحظ ايشاكو وأصدقاؤه ستة أو سبعة من الرجال الغرباء يهبطون من القارب ويتوجهون الى الغابة أسرعوا راكضين بين الاشجار الى قريتهم ، من دون أن يعيروا اهتماما لما جمعوه من المحار والاصداف وهي تسقط من أرديتهم وتتناثر بين الاشجار •

(٥)

الوقت صباحا وقرية « لومي » الصغيرة تصحو
من النوم ببطء . الاشجار الوارفة الخضراء تنفض عن
أوراقها العريضة ندى الفجر ، والطيور الملونة والبيضاء
ترفرف على الاغصان وتنقر هنا وهناك باحثة عن البذور
الجافة والفواكه الطازجة اللذيذة ، ومجاميع القرود .
بدأت يومها كعادتها كل صباح نشطة ، خفيفة ، تتعلق
بالاغصان وتنتقل من شجرة الى أخـرى بضوضائهـا
وضجيجها الذي لا ينتهي . وارتفعت من بين الاكـواخ
المتناثرة على الاشجار خيوط الدخان فانتشـرت روائح
الأكل المطبوخة .

هكذا تصحو القرية الجميلة كل صباح . ولكن هذا الصباح بالذات كان مختلفا عن سواه . فما ان نادت « مامبي » على ولدها الصغير ايشاكو مرة ومرتين حتى خامرها الشك في وجوده . فلا يمكن أن يظل ايشاكو نائما الى هذا الوقت ، ولا يمكن أيضا ألا يصحو على ندائها حتى لو كان نائما فعلا . اذن ثمة شيء قد حدث لايشاكو .

وحين عبرت على الجذع الكبير الى كوخه في طرف الشجرة وجدت فراشه مطويا بعناية وملقى في أحد أركان الكوخ . صاحت بأبيه صيحة عالية مشوبة بالفزع .

وما هي الا دقائق قليلة حتى اكتشف الآخرون اختفاء أولادهم أيضا .

ساد الهلع القرية كلها حين علمت باختفاء الاولاد الخمسة . وتجمع الرجال والنساء والشيوخ يفكرون

في طريقة للبحث عنهم . وبعد أن بين كل واحد رأيه صار قرارهم الاخير أن يخرج الرجال جميعهم للبحث في أرجاء الغابة . قسم يمضي شمالا والقسم الآخر يجول في أطراف الغابة من اليمين . ثم يكون التقاؤهم قرب ساحل البحر .

أما النساء والشيوخ والاطفال الآخرون فقد ظلوا في القرية ، وهم قلقون خائفون ، لا يعلمون ماذا يخبىء لهم ذلك اليوم من أحزان .

في تلك الساعة كان ايشاكو وأصدقاؤه الاربعة في طريقهم الى القرية بعد أن شاهدوا الزورق الكبير والرجال البيض الذين هبطوا منه على اليابسة . وتشاء الصدف ألا يلتقي جمع الرجال بالاولاد الهلعين ، العائدين الى بيوتهم .

فقد سلك الرجال الطرق الوعرة والخطرة اعتقادا منهم أن الاولاد ربما سلكوا تلك الطرق فاعاقتهم



المستنقعات العميقــة التي لم يكونوا ليستطيعـوا
اجتيازها بسهولة.

وهكذا وصل الاولاد الى القرية فلم يجدوا فيها
غير النساء والاطفال وكبار السن ، فقصـوا عليهم
ما شاهدوه في الساحـل ، وبالغوا في وصف الزورق
الكبير والرجال الغرباء الذين هبطوا منه .

وحين سمع الشيوخ تفاصيل القصة كلها صمتوا
لحظة . فهم يعرفون بالضبط ماذا يعني هـذا الزورق
الكبير ، ولماذا هبط الرجال السبعـة حاملـين معهم
أسلحتهم ؟

قال أحد الشيوخ وكان يتكىء على عصا غليظة
من شجر المانكو :

ـ اسمعوا يا أولاد .. وأنتن أيتها الامهات ..
نحن الآن في خطر ، وليس أمامنـا الا أن ندافع عن
أنفسنا ضد هؤلاء . فرجالنا بعيدون عنا ، وقد يغيبون

الغرباء في هذه الساعة • فان لم نصمد أمامهم أخذوكم جميعا معهم • ولا أحد غير الله يعلم ماذا سيكون عليه مصيركم بعد ذلك ؟

نحن شيوخ ومسنون ، وهم لا يحشون عنا انما همهم الوحيد هو أنتم ، فان لم تثبتوا عاد الرجال فلم يجدوا غيرنا هنا ، وقد لا يتركونا أحياء نحن أيضا ، فقد سمعت أنهم يحرقون القرى بعد غزوها وأسر رجالها وأطفالها •

حين سمع الاولاد ما قاله الشيخ المسن ، عم بينهم الفزع والذعر ، ولكنهم تماسكوا قليلا ، بعد أن عرفوا أنهم سيدافعون عن أنفسهم وعن أخوتهم الصغار وأمهاتهم الخائفات اللواتي لم يكن قد عرفن القتال والدفاع عن النفس من قبل •

تجمعوا بسرعة ووضعوا خطة للدفاع ، فأخرجت النساء كل الاقواس والنبال والرماح القديمة المعدة

للصيد . وتوزعوا في أماكن مناسبة . كل واحد عرف دوره المكلف بـه .

اختبأ البعض في الاعشاب الكثيفة وفوق الاشجار. ومنهم من وقف خلف كمين وضعه في الطريق المؤدي الى القرية ، ومنهم من أفرغ الكمائن القديمة والحفر من التراب وغطى فوهاتها بالاغصان . وهكذا ظلوا بانتظار الاشارة المتفق عليها .

وبعد زمن قصير ، والجميع مستعدون وصامتون ، وكأن القرية خالية من السكان ، دخل عدد من الغرباء وشاهدهم الجميع ، حتى الاطفال الصغار الذين لم يستطيعوا أن يهبطوا من أكواخهم على الاشجار كانوا ينظرون اليهم من بين الاغصان .

وفي لحظة خاطفة شق الصمت والسكون صوت قوي ليس جديدا على الغابة ... هيوووو .. هيوووو وكانت هذه هي الاشارة المتفق عليها .

هجمت القرية كلها على الغرباء ، ومن كل مكان

برزت النساء والاولاد والشيوخ وكأنهم خرجوا من باطن الارض ، وراحوا يطاردون المعتدين الدخلاء .

ولم يمض وقت طويـل حتى هرب هؤلاء خائفين مذعورين ، وقد أضاعوا طريق العودة من شدة الذعر فراحـوا يتخبطون في الوحـول والبرك الآسنة وهم يتلقون الضربات السريعة الخاطفة من كل الجهات .

لم يعرف هؤلاء كيف يدافعون عن أنفسهم بعد هذه المباغتة السريعة . حتى الاسلحة الغريبة الفتاكة لم يتهيأ لها الوقت الكافي لكي تتحرك وتقاوم ، فقد فاجأتهم الضربة بأقل من دقيقـة ، ولم ينتبهـوا الى أنفسهم الا وهم هاربون ، فارون أمام جمع لا يعرفون عدده ولا عدتـه .

فقد انطلقت صرخات ضارية من جميع الجهات . وانهالت عليهم عشرات النبـال والرمـاح ، وتهاوت فوقهم العصي الغليظة . فلم يستطيعـوا ازاء هـذا

الهجوم المفاجىء الا الهرب • ولكن أربعـة منهم لم يستطيعوا حتى الهرب والنجاة بأنفسهم فسرعان ما برز لهم آخرون من الجانب الثاني فسدوا عليهم طريـق الهـرب •

وحين انجلى الامر بعد فترة وجـدوا أنفسهـم أسرى ، وقد فقدوا أسلحتهم وأحاط بهم جمع كبير من المقاتلين • ولكنهم أصيبوا بالدهشة حين لم يجـدوا من بين كل الذين قاتلوهم رجلا واحدا • فقـد كان الجميع من النسـاء والاولاد والشيوخ •


وانهالت عليهم
عشرات النبال والرماح

(٦)

مضى على رجال القرية أكثر من ساعتين وهـم يدورون في الغابـة من دون أن يعثروا على أي أثـر للاولاد الضائعين • وفي النهاية التقت المجموعتـان قرب ساحل البحر كما كان مقررا منذ البداية • وبعد أن تشاوروا قليلا اتفقوا على العودة في الطريق الذي اعتاد أهالي القرية أن يسلكوه علهم يجدونهم هناك •

وقبل أن تنحـدر خطواتهم الاولى على الدرب فوجئوا بصوت ينطلق من وسطهم :

ـ انظروا •

التفت الجميع الى مصدر الصوت • كان أحدهم

ينظر الى البحر كما لو أن عفريتا مرعبا قد خرج من بين الامواج . في تلك اللحظة شاهد الجميع المنظر الغريب من دون أن ينبس أحدهم بكلمة واحدة ...

كان منظرا غريبا فعلا ، لم يشاهده الرجال من قبل ولكنهم عرفوه في لحظة واحدة ومن غير أن يتحدث بعضهم لبعض . فقد كانوا قد سمعوا حكايته بالتفصيل .

● ● ●

بدأ الذعر يصيب الرجال ، ولكنه ذعر من يتهيأ لمغامرة ويقدم على ولوج الخطر . فكيف لا يخافون وهم الآن أمام عدو عنيد ، عات ، لا ينفع معه الاختفاء أو الهرب . انه الآن متوجه اليهم والى قريتهم . وربما الى القرى المجاورة الاخرى . فليس اذن أمامهم غير الصمود والدفاع عن النفس .

قال أحدهم : « اذا لم يكن الاولاد في أي مكان من الغابة الآن فلابد أنهم في قبضة هؤلاء المعتدين ،

واذا لم نبادر لانقاذهم استطاعوا أن يرغموهم بالقوة فيدلوهم على مكان القرية فلا ينجو أحد منا جميعا » .

ساد الصمت على الوجوه فترة ، ثم أخذوا يتهامسون برفق وهدوء حتى وصلوا الى قرار فيما بينهم .

في ذلك الوقت كان الهدوء يسود المكان كله ، والقارب الكبير جاثم على الساحل مثل حيوان غريب منقرض . وثمة أناس يتحركون على ظهره ببطء .

ولو نظر أحدهم في تلك اللحظة الى الماء لما وجد شيئا يثير الانتباه ، بل لم يجد سوى الهدوء والصمت يغلفان المكان .

في هذا الجو المليء بالسكون كانت تفاصيل أحداث جديدة تظهر على السطح دون أن يتعرف عليها أحد . فقد بدأ المشهد غامضا ، لا يثير الريبة ، ولكن سرعان ما تحركت أمواج هادئة ، رتيبة ومن تحت الماء خرجت رؤوس كانت تتحرك صوب القارب .

في لحظة واحدة تسلق عشرات الرجال الشجعان على ظهر الزورق الكبير وانهالوا على الغرباء ضربا ، فلم يستطع هؤلاء أن يفعلوا شيئا ازاء هذا الهجوم المباغت .

وارتفعت من هنا وهناك انفجارات عالية من أسلحة غريبة كانت لدى الغرباء وسقط رجلان أو ثلاثة في الماء متأثرين باصابات بليغة . ولكن ذلك لم يمنع الرجال الشجعان من ملاحقة الباقين حتى قضوا عليهم جميعا . منهم من سقط في الماء بعد أن أصيب برمح أو عصا غليظة على رأسه ، ومنهم من رفع يديه الى فوق علامة على الاستسلام .

وحين توقف القتال بدأ الرجال الشجعان بفك القيود عن جميع الاسرى الذين كانوا في القارب . وهبطت النساء والاطفال المحتجزون الى الساحل أيضا . وبعد أن فتشوا القارب جيدا لم يجدوا أي أثر للاولاد الخمسة الضائعين .

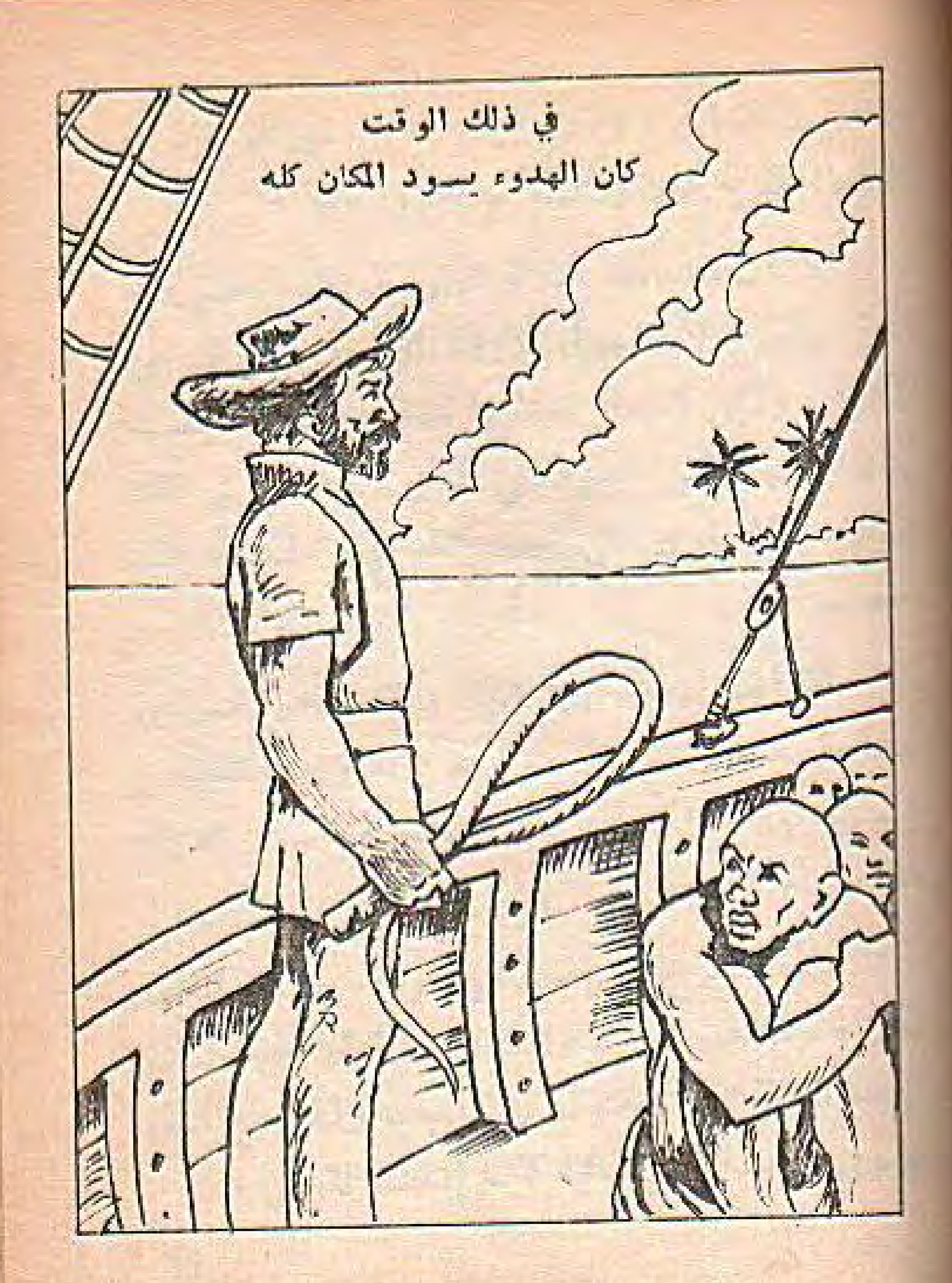
هبط الجميع من القارب ، حتى الرجال الغرباء بعد أن قيدوهم بذات القيود التي كانوا يقيدون بها الاسرى . ثم صعد والد ايشاكو الى القارب وأضرم فيه النار .

● ● ●

حين قفلوا عائدين الى القرية كان القارب الكبير ما زال مشتعلا وسط الماء ، وما زال الدخان الاسود الكثيف يرتفع في الفضاء كأنه غيوم داكنة سوداء .

كان الرجال الغرباء يسيرون في المقدمة مكبلين بالاصفاد ، ومن ورائهم كان رجال القرية ، ثم المجموعة الاخرى من الرجال والنساء والاطفال الذين تم انقاذهم من الاسر ، وقد حملوا معهم الجرحى من الطرفين .

وحين وصل الجميع الى القرية كان الوقت غروبا .
وتستطيع أن تتخيل اللقاء ...
وتستطيع أيضا أن تتخيل مقدار ما عم الجميع من الفرح والبهجة .



نادى الرجال على نسائهم لكي يهيئوا الطعام فانشغلوا كلهم باعداده . وتحركت النساء لجمع الحطب فيما تجمع الاطفال حول الرجال الغرباء يحدقون في أشكالهم وملابسهم . ونودي على العم « عبدول » ليجهز نفسه ويأتي بعدته الطبية ويداوي الجرحى .

وفي تلك اللحظة والجميع مغمورون بالسعادة والفرح أطلقت احدى النساء صرخة عالية وسقطت بلا وعي .

وبسرعة التفت النسوة حولها وسكبن على وجهها قليلا من الماء .

فتحت المرأة عينيها برفق وخرجت من بين شفتيها الكلمات هامسة متقطعة :

ـ أكمبا ... ولدي ... أكمبا .

ارتبك الجمع وارتفعت صيحات من هنا وهناك

تدعو « أكمبا » . ولكن الولد الصغير غير موجود .. فتشوا القرية كلها ولكنهم لم يعثروا عليه .

« اذن لقد أخذ الثلاثة الهاربون أكمبا معهم » .

وتجمع الآباء حول الاولاد الاربعة يسألونهم عن أكمبا ، ولكن الصغار احتاروا بماذا يجيبون . فقد كان أصغر الذين ذهبوا الى البحر ، وهو فوق ذلك ضعيف ولا يقوى على السير الطويل ، ولكنه كان معهم .

الا أنهم لم يتذكروا شيئا . فقد عادوا مسرعين جدا ولم ينتبهوا الى بعضهم وهم يركضون في الغابة . ولم يتذكروا ان كان قد اشترك معهم في أسر الغرباء الاربعة أم لا ...

أوشك الفرح أن ينقلب الى حزن . بل لقد انقلب فعلا . وها هم الرجال والنساء والاطفال يطوفون في أرجاء الغابة ثانية يبحثون عن أكمبا ولكن من دون جدوى ، فقد اختفى نهائيا كأنما ابتلعته الارض .

ومضت ساعة .. ساعتان .. ثلاث ساعات ، وعاد الجميع الى القرية يائسين تتشح وجوههم بحزن عميق .

لابد أن الناجين من الغرباء قد حملوا في طريقهم « اكيبا » الصغير بعد أن كمموا فمه ومنعوه من الصراخ .

بكت النساء وهن يواسين أمه الحزينة . وبكى الرجال والاطفال . وكاد الغروب أن يختفي ويحل الليل العميق الداكن فيغرق الغابة .

في ذلك الوقت ينقطع الرجاء تماما في العثور على « آكيبا » .

وبينما هم في تلك الحالة اذ بصوت ضعيف يرن من بين السكون : هيووووو ...

انه أكيبا .. صرخت امه وهي تقفز من بين النساء الى جهة الصوت .. وقفز خلفها الجميع . وما هي الا لحظات حتى اطل أمامهم باسما ، متأنيا في مشيته ، وعلى رأسه سلة ثقيلة من الخوص .

لم يستطع أي واحد أن يقول أو يفعل شيئا ، بل ظلوا متسمرين في أماكنهم ، جامدين ، ينظرون الى الولد الصغير وهو ينزل السلة من فوق رأسه . وما ان أنزلها تماما وأفرغ محتوياتها حتى رأى الجميع ومنهم « ايشاكو » و « شوينكو » و « الوري » و « وولي » كمية كبيرة من المحار على الارض .

اذن لقد عاد الصغير « آكيبا » ثانية الى البحر .. عاد ليجمع المحار الذي سقط من أردية الاولاد قرب الساحل .

ومنذ ذلك الوقت قبل أربعمائة سنة والى هذا اليوم و « لومي » الصغيرة المنزوية في الادغال تكبر حتى صارت مدينة ، وظل الناس من كل مكان يأتون اليها ليشاهدوا القرية التي انطلقت منها أول صيحة في وجه الغزاة وأول سهم انطلق بوجه اللصوص القادمين من وراء البحار .

تــل الشيطــان

(١)

بعد تلك الحكاية بزمن قصير اكتسب الفتيان جرأة كبيرة في الابتعاد عن القريـة ، وكان اكثرهم تفاخـرا بنفسه وتباهيا أمام الفتيان الآخرين هو « اكبا » الذي كان أصغرهم سنا ، اذ أن هذه المغامرة الجريئة أعطته احساسا كبيرا بأنه يستطيع أن يمضي أينما يريد وفي الوقت الذي يريد ، فكان يلـح على رفاقـه الباقين بالخروج للصيد والابتعاد عن القريـة مسافـة أطول ليستطيعوا مشاهدة القرى الاخـرى ويتعرفـوا على فتياتها ، ولكن الاربعة الآخرين لم يكونوا متحمسين الى أفكار « اكبا » ، بل لم يكونوا متحمسين الى اصطحابه معهم • فقد كاد يسبب لهم مشكلة كبيرة في

خروجهم الى البحر تلك المرة ، بل سبب لهم مشكلة بالفعل ، فقد كان عمله البطولي الذي قام به حين جمع كل المحار الذي فقدوه في الغابة والعودة به في الظلام لعنة عليهم جميعا ، اذ سرعان ما بدأ الكبار والصغار يتحدثون عنه وعن بطولته ، حتى كادت شهرته تطغى على شهرتهم مجتمعين ، وكادت البطولة تنسب اليه دون أصدقائه الآخرين • لهذا السبب ولخوفهم من أن تتكرر مأساة أخرى لا تحمد عاقبتها صاروا يبتعدون عن « آكمبا » ولا يشركونه معهم في ألعابهم وفي رحلاتهم الطويلة للصيد •

وبالفعل خرجوا مرتين أو ثلاثا دون أن يخبروه ، وحين عادوا يحملون معهم أرنبين وعددا من بيض النسور ، كاد « اكمبا » يمرض من الحزن • في تلك الليلة بكى بكاء مرا وظل الى الصباح حزينا لا يستطيع النوم • لقد بهرته تلك البيوض الكبيرة التي يميل لونها قليلا الى الزرقة وسحرته أيضا طريقة البحث عنها بين الصخور •

كان الاصدقاء الاربعة ايشالو و وولي وشونكو
وري يتحدثون لفتيان القرية الآخرين عن جرأتهم
خارقة في الصعود على التلال الصخرية والبحث عن
شاش النسور الخفية داخل الشقوق العميقة المظلمة
وق قمم الصخور الشاهقة الملساء التي لا يعرف أحد
الفتيان الاربعة خطورة الصعود اليها بعد ، فاذا
أخطأ أحدهم وزلت قدمه هناك فلن تتلقاه غير
صخور القاسية الكبيرة التي لا ترحم •

وكانوا كلما أمعنوا في سرد حكاياتهم ازداد
كمبا » حزنا ، وربما بالغوا في الوصف كعادة الفتيان
صغار كي يدهشوا أصدقاءهم الآخرين ويحملوهم
الاعجاب بهم •

حاول « آكمبا » أن يجمع حوله عددا من الفتيان
وم بمغامراته وجولاته هو أيضا ، ولكن ليس في
ية فتيان غير الاصدقاء الاربعة يحتالون على أهاليهم
عدون كثيرا عن القرية ، ان الآخرين يخرجون

حد . احيانا للصيد وأحيانا أخرى لمجرد اللعب ولكـ
في كلتا الحالتين لا يبتعدون كثيرا عن القرية واذا ما فكـ
أحـدهم بالذهاب الى التـلال الصخريـة فلابد
الاستيقاظ فجرا حتى يتسنى له الوقت الكافي للوصـ
والبحث وحمل ما يجده والعـودة بـه الى البيـ
المساء . ومثل هذه الفكرة لا تخطر على بال الفتـ
الآخـرين ، واذا خطرت فلا أظن أنهـا ستخطر
رأس المغامر الجريء « اكمبا » أو رؤوس أصدقـ
الاربعة الآخرين . لهذا يئس « أكمبا » من اقناع
في الخروج معه الى التلال ، ويئس من اقناع اصـ
الاربعة بأن يصطحبوه معهم . وكلما قرر مع نفـ
يراقبهم عند الخروج من القرية ويتتبـع أثرهـ
يستطع معرفة الوقت الذي يتفقون عليه للرحيل .
ظل يستيقظ في الفجر لعـدة أيام ويراقب من بعيـ
اكواخ أصدقائه ، ولكن لم ينزل منها سـوى الا
لقضاء بعض الحاجات ، والأمهـات استعدادا لتهيـ

ـعام الافطار ، حتى يئس يأسا شديدا وراح يتنصت
ـيهم من خلف الاغصان ليكتشف موعد خروجهم
ـمرة القادمة . وبينما هو يستيقظ ذات صباح كعادته
ـرسلا نظراته الى أقرب الاكواخ اليـه فاذا بـه يرى
« ايشاكو » متسللا من كوخـه ، هابطا بحـذر الى
ـرض .

ـع « أكمبا » الوقت يمضي هدرا بل تسلل
ـآخر مسرعا كي لا يكتشف أحد من أهله خروجه
ـكر هذا ، ومن خلف احدى الاشجار الكبيرة راح
ـب « ايشاكو » وهو يرسل اشارته الغريبة التي
ـبه زعيق أحد الطيور الليليـة . وبأقل من دقيقـة
ـمع الفتيان الاربعة قرب احدى الاشجار الباسقة ،
ـكن « أكمبا » يراهم تحت ضوء الفجـر ، كأنهم
ـباح عارية هزيلة تتحرك من بعيد .

اجتمع شمل الاصدقاء الاربعة بلحظات وتحركوا
ـتجاه الجنوب صوب التلال الصخريـة ، وتحـرك

«أكمبا» خلفهم تاركا بينه وبينهم مسافة كي لا يرو
ويكتشفوا سره . لقد قرر أن يتبعهم الى النهاية
وهناك حينما يصلون الى التلال لن يهمه بعد ذلك أ
يروه ، بل سيخرج اليهم بنفسه ويخبرهم بأنه يعرف
الطريق جيدا ، وأنه قد سلكه من قبل عدة مرات
وحينذاك لن يبقى لديهم سبب لمنعه من العودة معهم

مضى من الوقت أكثر من ساعة وهم يسيرو
و «اكمبا» يسير خلفهم ، لم يحاول أن يبتعد عنه
كثيرا خوفا من أن يضل الطريق فكان أحيانا يقترب
منهم فلا تفصله عنهم سوى عدة أمتار ، وكان
الاشجار الكثيفة والادغال حاجزا بينه وبين رؤيته .

وفجأة بدأت الاشجار تتباعد عن بعضها وتخف
كثافتها ، وبدأت الارض الصخرية تتضح معالمها فتش
الى اقترابهم من منطقة التلال . لذلك صار من الافضل
أن يحتفظ بمسافة أطول تفصله عنهم . فاذا أكتشف
وجوده الآن فقد يفقد فرصته الوحيدة في رؤية التلال

التمتع بالبحث عن بيوض النسور . بدا ضوء
صباح واضحا والشمس تكاد ترتفع وترسل أشعتها
ذهبية على رؤوس الاشجار . في تلك اللحظة مرت
ن أمامه أفعى سوداء قاتلة ملأ قلبه الرعب وأطلق
رخة حادة وقفز خلف احدى الاشجار كي لا يكتشفه
تيان الاربعة ، ولكن الصرخة كانت عالية سمعها
تيان مختلطة بضجيج العصافير وزعيق القردة على
م الاشجار . وكانت اللحظات التي مرت به وهو
ف الشجرة يراقب أصدقاءه بعين والافعى التي ظلت
تصبة في منتصف الطريق بالعين الاخرى ، لحظات
سية ، شديدة القسوة .

وقف ايشاكو ومعه الفتيان الثلاثة الآخرون
كنين ، ولم يكن «اكمبا» يعلم شيئا عما دار في
وسهم وقتئذ . لقد سمعوا بالتأكيد صرخته ،
ا هم ينظرون الى جهته ويتحدثون فيما بينهم
دث لا يسمعه .

مرت امامه أفعى
سوداء قاتلة فقفز
خلف احدى الاشجار

هل يمكن أن يكونوا قد عرفوه من صرخته تلك
وهل ترى سيعودون الى المكان ذاته فيجدون
مختبئا خلف شجرة المانجو الباسقة ؟

كانت تلك الاسئلة تدور في مخيلتـه الصغيرة
وكان منظرهم حين يتصورهم يعودون اليه أقسى من
نظرات الافعى التي ما زالت تنظر اليه عبر الطريـق
وكأنها تنتظره •

ظل قلبـه يخفق فأوشك أن يستدير الى الخلف
ويجري عائدا الى القرية ، ولكن « أكمبا » ليس من
الصبية الذين يتراجعون أمام أول عائق يقف في طريق
مغامراتهم • وهكـذا ظل مختبئا فترة من الوقت حتى
انطلق الفتيان ثانية في طريقهم نحو التلال ، ولاختفت
الافعى هي الاخرى بعد أن اطمأنت أن ليس هنـاك
ما يهدد أمنها وسلامتها •

عاد « أكمبا » يسير خلفهم مبتعدا قدر الامكان
عنهم ، ثم فجأة شعر أنه قـد أضاع أصدقاءه ، فقـ

تفرع الطريق الى أكثر من فرع ، ولم يستطع أن يحدد بسرعة أي الفروع سلكها الفتيان الاربعة ، ثم دقق في العشب عله يجد علامة تركها الاصدقاء ، وحينما لاحظ بعض الاشواك المهشمة اعتقد أنهم سلكوا الطريق الايمن فمضى فيه مسرعا ، وسرعان ما عاد الطريق الضيق يتفرع ثانية فوقف يدقق في العشب مرة أخرى ، وحينما اختار واحدا من الطريقين كان قد قطع صلته نهائيا بالفتيان الاربعة .

ظل يسير في ذلك الطريق زمنا حتى ارتفعت الشمس وبان قرصها المشع في الافق ، لقد خاف أن يكون ضل الطريق وازداد خوفه حين شعر أنه ربما ضاع طريق العودة أيضا ، فتوقف عن المسير وراح يفكر . هل يتقدم الى الامام ويرى ؟ وليحصل بعد ذلك ما يحصل ، أم يعود الى القرية ويكتفي بهذا القدر من الجهد كي يضمن سلامته ووصوله بأمان ؟

كان « أكمبا » يختار الطريق الاصعب دائما دون

أن يفكر في العواقب . وما دام الوقت نهارا فلا خطر عليه ان هو ظل يسير هكذا . لذا قرر في الحال الا يعود ، وأن يمضي في طريقه حتى يكتشف التلال الصخرية ، فان وجد أصدقاءه فخير على خير والا فسيمضي وحيدا ويعود وحيدا . وما دام معه سلاحه العزيز « القوس والنشاب » فلن يخشى لصا يقابله أو حيوانا مفترسا يعترض طريقه . في تلك اللحظات سمع « اكمبا » ضجة في وسط الاحراش فتنصت اليه جيدا ، كان بكاء وتوسلا يأتي من الجانب الايمن من الطريق لابد أن خصاما وقع بين عدد من فتيان القرية المجاورة ، وها هو صياحهم وبكاؤهم يصله من بعيد .

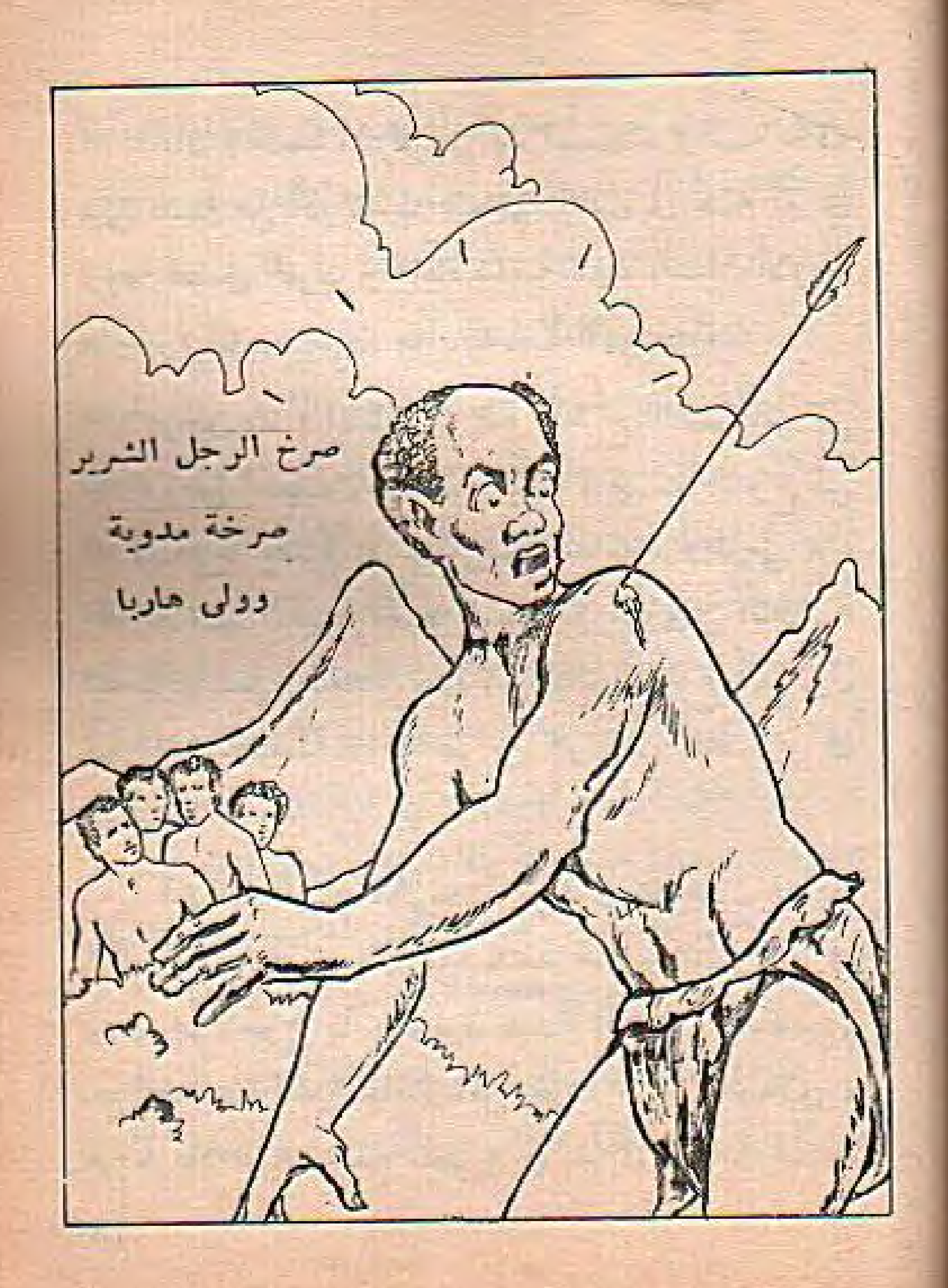
وحين اقترب من مصدر الصوت اتضح له أكثر ... كان هناك عدد من الفتيان يستنجدون ويتوسلون بصوت مليء بالخوف والهلع . سمع « أكمبا » أحدهم يقول متوسلا :

ـ لسنا لصوصا ، أقسم لك يا سيدي بأننا لسنا لصوصا .

حين سمع « اكمبا » هذا الصوت أحس انه يعرف صاحبه ، وأن هذا الذي يتحدث ليس غريبا عنه ، فراح يدير نظره هنا وهناك بين الاشجار القليلة المتناثرة عله يرى هذا الذي يتوسل ويبكي .

وفجأة وبعد أن اجتاز بضعة أمتار من الطريق رأى المنظر الغريب أمام عينيه ، كان الفتيان الاربعة « ايشاكو والوري و وولي وشوينكو » جالسين على الارض بهلع وقد وقف أمامهم رجل طويل رث الثياب ، قاسي الملامح وبيده عصا غليظة يهددهم بها ويتحدث معهم بصوت غير مفهوم لكنه مليء بالقسوة والشرور . كان هذا الرجل يريد بهم شرا فالتصقوا ببعضهم يتوسلون اليه أن يتركهم وشأنهم بينما الرجل بين لحظة وأخرى يرفع عصاه الى فوق يهدد بضربهم ، وكلما ارتفعت العصا ازداد الفتيان توسلا وضراعة .

وما ان رأى « اكمبا » المنظر جيدا وشاهد الرجل الشرير وهو يهدد بعصاه حتى تحرك في أعماقه غضب



جامح ، ومد يده الى حزامه واستل منه أحد السهام المدببة التي عملها أبوه من أغصان شجرة البوبو اللينة القوية •

وما هي الا ثانية أو ثانيتين حتى انطلق في الهواء سهم حاد وراح يصفر بصوت مسموع وهو يشق الفضاء الذي يفصل بين « اكمبا » والمشهد الذي أمامه • وحين انغرس السهم في الارض قرب قدم الرجل الشرير كان صوت صفيره قد سمع من الجميع فارتفعت العيون كلها نحو الجهة التي انبعث منها السهم • ووقف الرجل الطويل ذاهلا أمام هذا الحدث المفاجىء وراح ينقل نظره بين السهم المنغرس قرب قدميه وبين الجهة الاخرى التي انطلق منها ذلك السهم• وقبل أن يقرر ماذا يفعل ؟ طرق سمعهم ثانية الصوت نفسه • كان صفير السهم الثاني يدوي في الفضاء من جهة انطلاقه كأنه صوت الريح ، وما ان خفت الصوت حتى صرخ الرجل الشرير صرخة مدوية ووضع يده على كتفه وولى هاربا •

كان واضحا أن الرجل قد أصيب ، وانه خاف على نفسه من أن يصيبه السهم الثالث في عنقه أو في وجهه ففضل الهرب والنجاة بنفسه تاركا الفتيان الاربعة مذعورين ومندهشين مما حدث أمامهم فجأة .

وحين مد « ايشاكو » يده وأخرج السهم المغروس في الارض أصيب بدهشة كبيرة ، فهذا النوع من السهام لا يصنع الا في قريتهم الصغيرة « لومي » ، انها علامتهم المميزة .. « السهم ذو الرؤوس الثلاثة المدببة » فمن أطلقه يا ترى ؟ وكيف استطاع الوصول في تلك اللحظة وانقاذهم من الرجل الشرير في الوقت المناسب .

أخذ الفتيان الاربعة يجيلون نظرهم في كل الاتجاهات لعلهم يرون هذا المنقذ الشهم الذي ظهر في وقت هم أحوج ما يكونون فيه اليه ، ولكنهم ــ أيضا ــ كانوا خائفين من عودة الرجل العملاق ، فربما عاد ثانية لينتقم منهم ، ولابد أن انتقامه هذه

المرة سيكون شديدا بعد أن أصيب تلك الاصابة البالغة في كتفه ، لذلك قاموا مسرعين وغذوا السير في طريقهم الذي قرروا المضي فيه منذ الفجر .

استطاع « أكمبا » اللحاق بهم بسهولة ، فقد أصبح الطريق واضحا الآن ، بل أن الارض الصخرية والتلال الواطئة بدأت تظهر على الجوانب ، ولكن ثمة شيء غريب لم يفطن اليه « أكمبا » الا حين وصل التل العالي الذي تميل صخوره الى اللون الاسود ، لقد سار عدة ساعات دون أن يرى على الطريق كوخا أو قرية أو أي أثر لانسان ما عدا هذا الرجل الشرير الذي مر ذكره قبل قليل ، فهل يعني هذا أن الارض التي يسيرون عليها مسكونة بالاشباح ومملوءة بالمخاطر ؟ وهل يسمى هذا التل المخيف الذي أمامه بـ « تل الشيطان » اذا لم يكن الشيطان نفسه مقيما فيه ؟

كانت هذه الاسئلة تدور في خياله دون أن يعثر على اجابة مقنعة لها . فلو لم يكن وحيدا لهان الامر

ولكنه الآن وحيد ، والسهام التي يحملها في حزامه
لا تنفع في مواجهته للشيطان لو فاجأه الآن وخرج
اليه وجها لوجه .

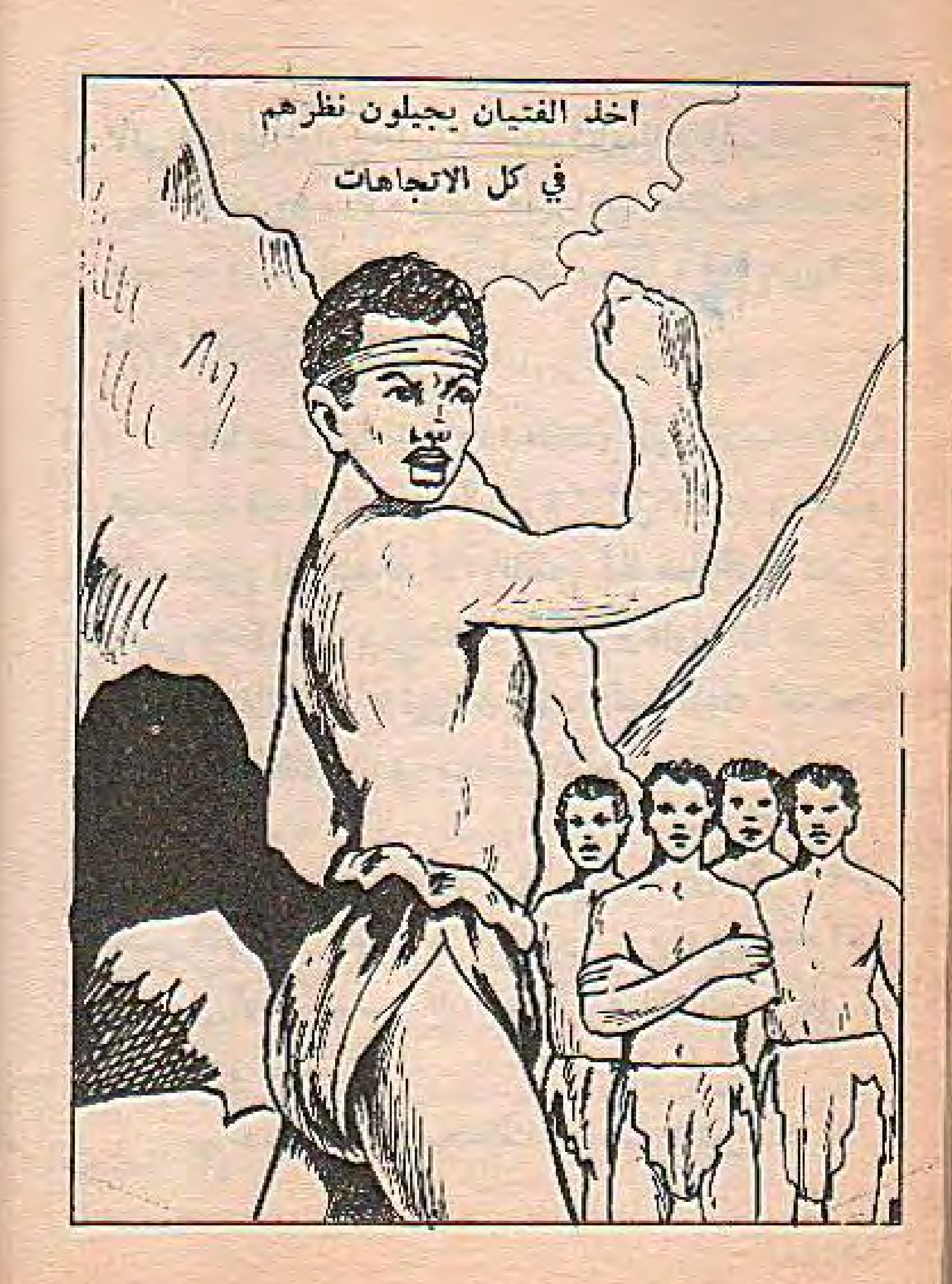
ولكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه ، فأكمبا
الباسل لا يستسلم بسهولة الى خيالاته وأحلامه .
تقدم بخطوات ثابتة وبدأ يتسلق الصخور السوداء
دونما التفات الى الخلف ، وراح يفتش بين الصخور
وفي الشقوق العميقة عن أعشاش النسور فيمد يديه
دونما وجل باحثا عن البيوض هنا وهناك . وبينما هو
يسير بين تلك الصخور الكبيرة والشقوق الكلسية
العميقة رأى أمامه فجأة ممرا مظلما تحيطه الصخور
السوداء الداكنة ، وراح يتلمس الطريق داخله غافلا
عن الخطر الذي يتهدده ، فقد يكون هناك وحش
مفترس أو أفعى من تلك الافاعي السامة التي لا تترك
من تلدغه يعيش أكثر من نصف دقيقة بعد ذلك .
في تلك اللحظة سمع « أكمبا » أصواتا مختلطة

تأتي اليه من خارج الممر ، فجمد في مكانه ولم يتحرك .
ربما كانت هذه الاصوات لحيوانات مفترسة تتقدم
نحوه ، وربما أخطأ ودخل أحد بيوتها ، وها هي الآن
تعود اليه لتستريح .

ماذا يعمل لو كان هذا المكان مأوى لاحد الدببة
الوحشية أو الذئاب الكاسرة ؟ أين سيهرب وهو
لا يستطيع أن يتحرك الا باللمس كما يتحرك الاعمى ؟
أحس « اكمبا » بشيء من الخوف وحاول أن يحرك
قدميه قليلا ويخرج قبل أن يقف وجها لوجه أمام هذا
الحيوان الكاسر الذي يتقدم باتجاهه .

وما ان رفع قدمه وحركها خطوة الى الامام حتى
سمع صوت « شوينكو » يقول : « دعوني هذه المرة
أدخل أولا ، وليمسك « وولي » الارنبين ويظل في
المؤخرة .

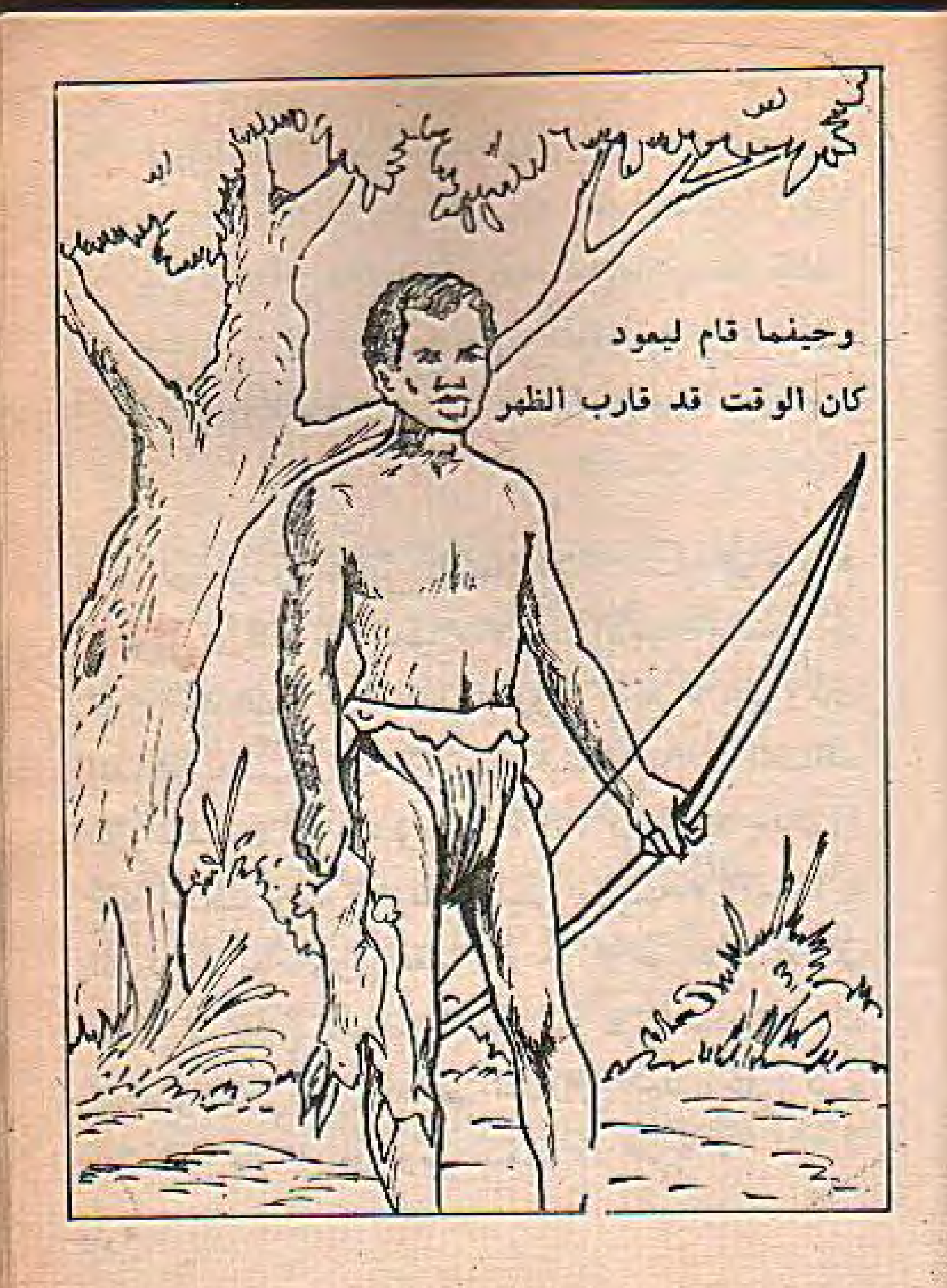
ـ حسنا ، أرنا شجاعتك المفاجئة يا شوينكو .



قال « وولي » ذلك وكأنه يحتج على تسليمه الارنبين اللذين تم صيدهما قبل قليل وحرمانه من البحث عن بيوض النسور •

لم يستطع « اكمبا » في تلك اللحظة عمل أي شيء غير أن يخمد في مكانه ويجلس مثل تلك الصخور الساكنة منذ آلاف السنين ، وراح يتنصت الى اصدقائه الاربعة الذين دخلوا الكهف ولا يعلمون أن « أكمبا » قد سبقهم اليه • ثم شعر أن شخصا ما يتقدم نحوه ، بل سمع صوت أنفاسه كأنها تلامسه • أراد أن يقول شيئا ليكسر هذا الطوق القاتل من السكون لكنه آثر الصمت •

وفي لحظة خاطفة أحس بيد باردة تمتد الى عنقه ـ لقد كان ايشاكو يتلمس طريقه في الكهف وخلفه الفتيان الثلاثة ، وكان يمد يديه الى الامام حيث لامست يده رقبة « اكمبا » دون أن يراه •
فقد سمع صرخة مدوية ضارية تبعتها صرخات أخرى ،



بعد ذلك لم يعرف « اكمبا » ماذا جرى بالضبط ؟
صوت سقوط وجري وتزاحم كتزاحم الخيل في ممر ضيق • بعـدها سكن كل شيء ثانيـة ، وحين خرج « اكمبا » من ذلك المكان وجد قرب فتحة الممر أرنبين مذبوحين على الصخور ووجد كيسا صغيرا بـه بعض ثمار الموز والمانجو وقطعة جافـة من اللحم المملح •
جلس على احدى الصخور وراح يأكل الثمار الطيبـة وينظر الى الافـق البعيـد دون أن يفكر بشيء على الاطلاق •

وحينما قام ليعود كان الوقت قد قارب الظهـر ، ولم ينس أن يأخذ معه الارنبين ويضع الكيس الفارغ الصغير على كتفه ويمضي عائدا الى القرية •

(٢)

لم يعرف أحد من الصغار أو الكبار في قرية « لومي » لماذا بدا الفتيان الاربعة الاصدقاء متعبين عصر ذلك اليوم ؟ لقد كان « وولي » يعرج بألم وكان ايشاكو يعصب رأسه وقد بان خيط من الدم الجاف على صدغه ، أما « شوينكو » فقد كان خائفا مذعورا كأنه أمسك برقبة الشيطان وليس برقبة « اكمبا » الصغير . أما الوري فقد كان هو الآخر خائفا الا أن خوفه لا يقاس بخوف « شوينكو » المسكين . ولم يتحدثوا بشيء عن رحلتهم تلك الى أحد ، على كثرة ما سئلوا من الصغار ومن الكبار في القرية .

الوحيد الذي ظل ينظر اليهم ببرود ولم يسألهم عن سبب جروحهم هو « اكمبا » ، فقد كان يمضغ قطعة اللحم الجاف دون أن يبدو عليه شيء من الاهتمام ، فيما اجتمع حولهم عدد كبير من الفتيان محاولين ان يعرفوا ما الذي جرى لهم فأصيبوا هذه الاصابات الدامية ؟

وقبل المغيب اجتمع الاصدقاء الاربعة ثانية ، فوق الشجرة التي اعتادوا الاجتماع عليها وسرد الحكايات والمغامرات الطريفة ولكنهم هذه المرة ظلوا صامتين الا انهم كانوا يتبادلون بعض العبارات المختصرة بين فترة وأخرى ، وفجأة لفت نظر « وولي » شيء معلق على الغصن الذي أمامه ، وحين دقق النظر رأى الارنبين اللذين اصطادهما هذا الصباح هو واصدقاؤه قبل وصولهم تل الشيطان ودخول « شوينكو » الممر المظلم . لقد تركوا متاعهم مع الكيس وتركوا الارنبين أيضا وفروا هاربين في لحظة الخوف تلك وراحوا يركضون

ويركضون حتى اقتربوا من القرية دون أن يلتفتوا الى جروحهم ورضوضهم . أنه يعلم علم اليقين أن الارنبين والكيس ما زالا هناك فوق الصخور في تل الشيطان ، وان وجود الارنبين معلقين على الغصن أمامه الآن شيء لا يمكن تصديقه !!

وحين رأى الفتيان الاربعة الارنبين تجدد ذعرهم ثانية وأيقنوا أن « تل الشيطان » لا يخفي في باطنه الا الشيطان نفسه ، وانه هو الذي كان داخل الممر المظلم ، وهو الذي عاد بالارنبين الى القرية وعلقهما على الشجرة التي اختارها الاصدقاء مكانا للقاءاتهم واجتماعاتهم .

ولكن لماذا قدم لنا العون وأطلق السهم على الرجل الشرير وهو يعلم أننا نأخذ بيوض النسور ونحطم أعشاشها فوق قمته ؟

قال ذلك « ايشاكو » وقد تذكر حادثة الرجل العملاق الذي حاول ايذاءهم في الغابة .

أجابه « وولي » :

— ومن قال لك أن الذي أطلق السهم هو الشيطان ؟ ان الشيطان يعيش في ذلك التل فقط ، أما الغابة فلا أظنه يضيع وقته بالتجول هناك . ثم أن السهم من صنع رجال قريتنا ، ألم تروا رؤوسه الثلاثة المدببة ؟

في تلك الاثناء اقترب « أكبا » من الشجرة وتسلق جذعها الكبير كما يتسلق القرد شجرة جوز الهند وجلس قرب الفتيان الاربعة بعد أن ألقى بالتحية اليهم . صمت بعدها فترة قصيرة من الوقت ثم مد يده الى حزامه وأخرج سهما ووضعه داخل القوس وشد على الوتر بقوة مسددا نحو هدف مجهول في الفضاء الرحب العريض ، وما ان انطلق السهم حتى سمع الجميع صفيرا كالذي سمعوه في طرف الغابة حين خرج لهم ذلك الرجل الشرير وكاد يفتك بهم بعصاه الغليظة .
نظر كل واحد الى وجه الآخر ولم يقولوا شيئا ،

فلا يمكن أن يفكر اي واحد منهم بـ « أكمبا » في تلك اللحظة ، ولكن هذا الصوت هو نفس الصوت الذي سمعوه هناك ، بل أن السهم لا يختلف عن ذلك السهم بشيء وكان الذي صنعهما رجل واحد .

بعد تلك الفترة الطويلة من الصمت علق أكمبا قوسه على غصن صغير جواره وقال مخاطبا الفتيان الاربعة :

ـ من يذهب معي غدا الى تل الشيطان ؟

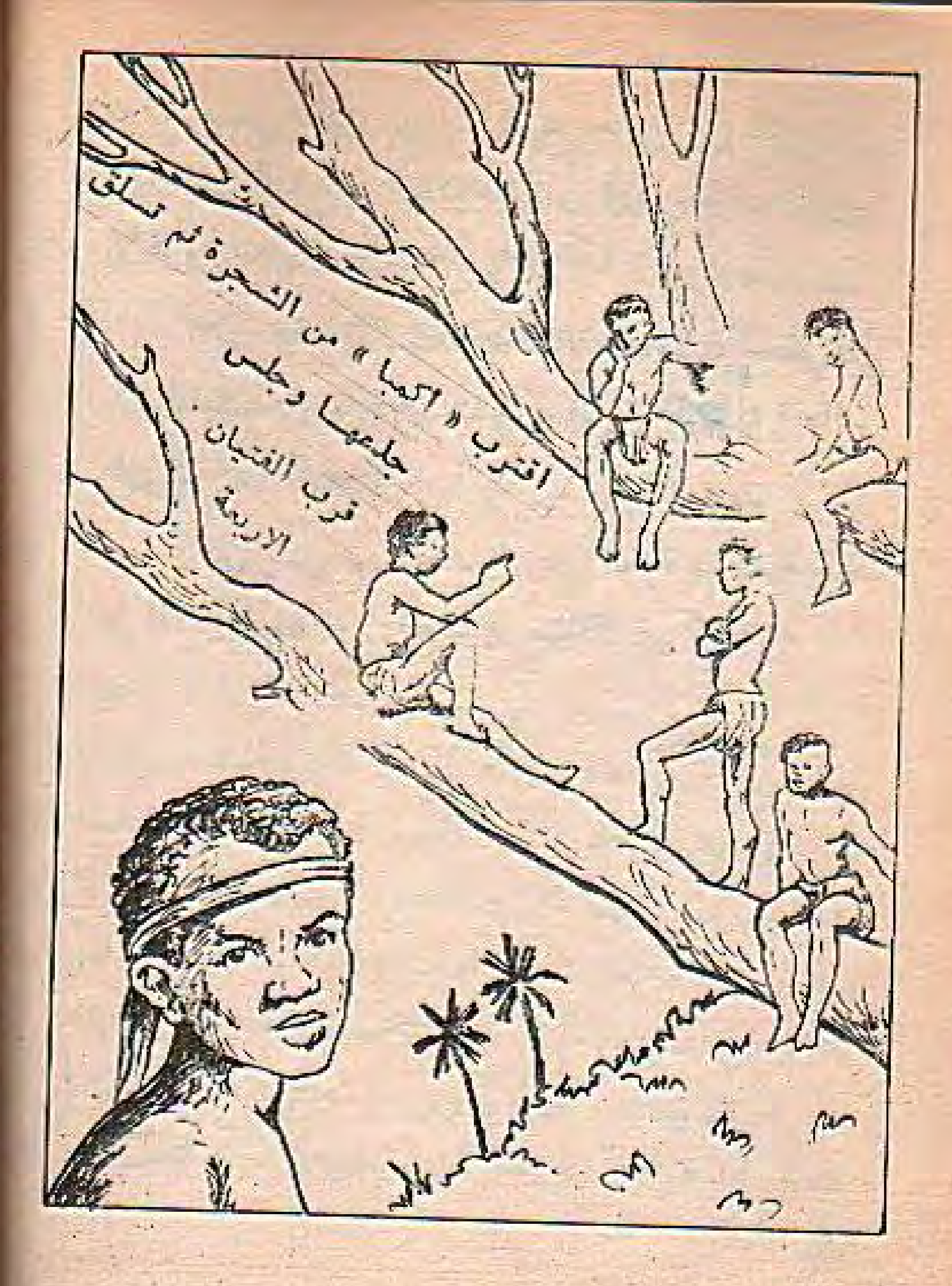
لم يجب أحد على سؤال « اكمبا » وظلوا صامتين . ولما أعاد سؤاله ثانية ، كانوا أشد استغرابا من ذي قبل . لقد كان « اكمبا » ومنذ أيام طويلة يلح ويتوسل اليهم بأن يصطحبوه معهم الى هناك وها هو فجأة يتحدث وفي لهجته روح التحدي ويسألهم بكثير من الكبرياء ان كان يود أحدهم الذهاب بصحبته الى تل الشيطان . فهل يا ترى عرف « اكمبا » ماذا حصل لنا هناك ؟ هل بان على وجوهنا ذلك الخوف

المريع ونحن نطلق سيقاننا للريح هروبا من التل ؟

اذن لماذا كان « اكمبا » من دون سكان القرية الآخرين يتصرف معنا بهذه الطريقة ؟

كانت هذه الاسئلة وتلك الاحساسات تخطر على بال الفتيان الاربعة وهم ينظرون الى « اكمبا » الجالس على الشجرة قربهم .

وحين يئس من الحصول على اجابة شافية هبط عن الشجرة بهدوء وراح يسير متثاقلا الى كوخه .



(٣)

في اليوم التالي استيقظت ام « اكمبا » كعادتها كل صباح وراحت تعد طعام الافطـار ، وحين دخلت كوخه لم تجده في فراشه ، وكان ذلك شيئـا عاديا ، فغالبا ما يستيقظ الفتيان ويخرجـون الى اللعب قبل الافطـار ، ولكن الذي أثار شكوك أمـه هو برودة الفراش ، فلو كان « اكمبا » قد غادر فراشه قبل قليل فانـه سيظل يحتفظ بالدفء لاكثر من ساعة ، ولكن يبدو أن « أكمبا » قد قام من فراشـه وغادر الكوخ قبيل الفجر ، لهذا راحت تسأل الفتيان الآخرين عنه . ولما كان الجميع موجودين في اكواخهم وعلى أشجـار اللعب الاخرى فقد ازداد قلق الأم على ابنهـا وراحت تولول وتبكي .

أما الفتيان الاربعة ايشاكو و وولي والوري وشوينكو فلم يبادر أي واحد منهم باخبار أم اكبا عن فتاها أو عن قراره بالذهاب الى تل الشيطان . لقد كان الفتيان الاربعة بعد الذي جرى لهم هناك يخشون حتى الحديث عن التل ، لهذا لم يقولوا شيئا وظلوا صامتين حتى حين اقترح البعض الخروج للبحث عن « اكبا » .

مضى الوقت سريعا ولم يعد « اكبا » الى القرية، وعاد بعض الذين خرجوا للبحث عنه خائبين ، وما ان حل المساء حتى أقبل ومعه ثلاثة أرانب برية كان قد اصطادها في رحلته السرية هذه . تجمع بعض رجال القرية وبعض نسائها وأطفالها قرب كوخ « اكبا » وراح الجميع يلومونه بسبب خروجه هكذا وحيدا ، فالمنطقة غير آمنة والقرية تحيط بها الاخطار من كل جانب ، فقطاع الطرق ولصوص البحر يملأون الاحراش وسواحل البحر ، وما ان يجدوا شخصا يسير منفردا حتى يهاجموه فيكمموا فمه ويقودونه بالقوة ليبيعوه

لى أصحاب السفن الغرباء فيأخذونه معهم الى ما وراء البحار ، ولا أحد يعلم بالضبط ماذا يفعلون به هناك ، فما من أحد ذهب وعاد ليخبرهم بالامر .

وقطاع الطرق يسلبون كل شيء حتى جلد الحيوان الذي نرتديه ، ولكنهم يفضلون الخرز والقلائد والحلي الاخرى التي تلبسها النساء والرجال حيث يتم بيعها بعد ذلك في المدن والقرى البعيدة .

كان توبيخ « اكبا » مقصودا ، وكانوا يريدون تخويفه من عواقب الخروج وحيدا الى أماكن بعيدة عن القرية ، فقد بحثوا عنه هذا الصباح في كل مكان ولكنهم لم يجدوه ، فقد ذهب الى أماكن بعيدة لم يجرب غير الرجال الذهاب اليها . ولكن لم يبد على « اكبا » أنه متأثر كثيرا لكلام الآخرين ونصائحهم المملة ، فهو يعرف جيدا أنه لم يفعل شيئا سيئا ؛ بل كل الذي فعله الى الآن هو لخير القرية ولخير سكانها جميعا . ألم ينقذ الفتيان الاربعة قبل أيام من ذلك

اللص الشرير الذي حاول ايذاءهم ؟ ألم يعد اليهم الارنبين اللذين تركوهما على الصخور وفروا هاربين الى القرية ؟ اذن لماذا يوبخه الكبار دائما ويرفض مصاحبته الفتيان في رحلات صيدهم ولهوهم ؟

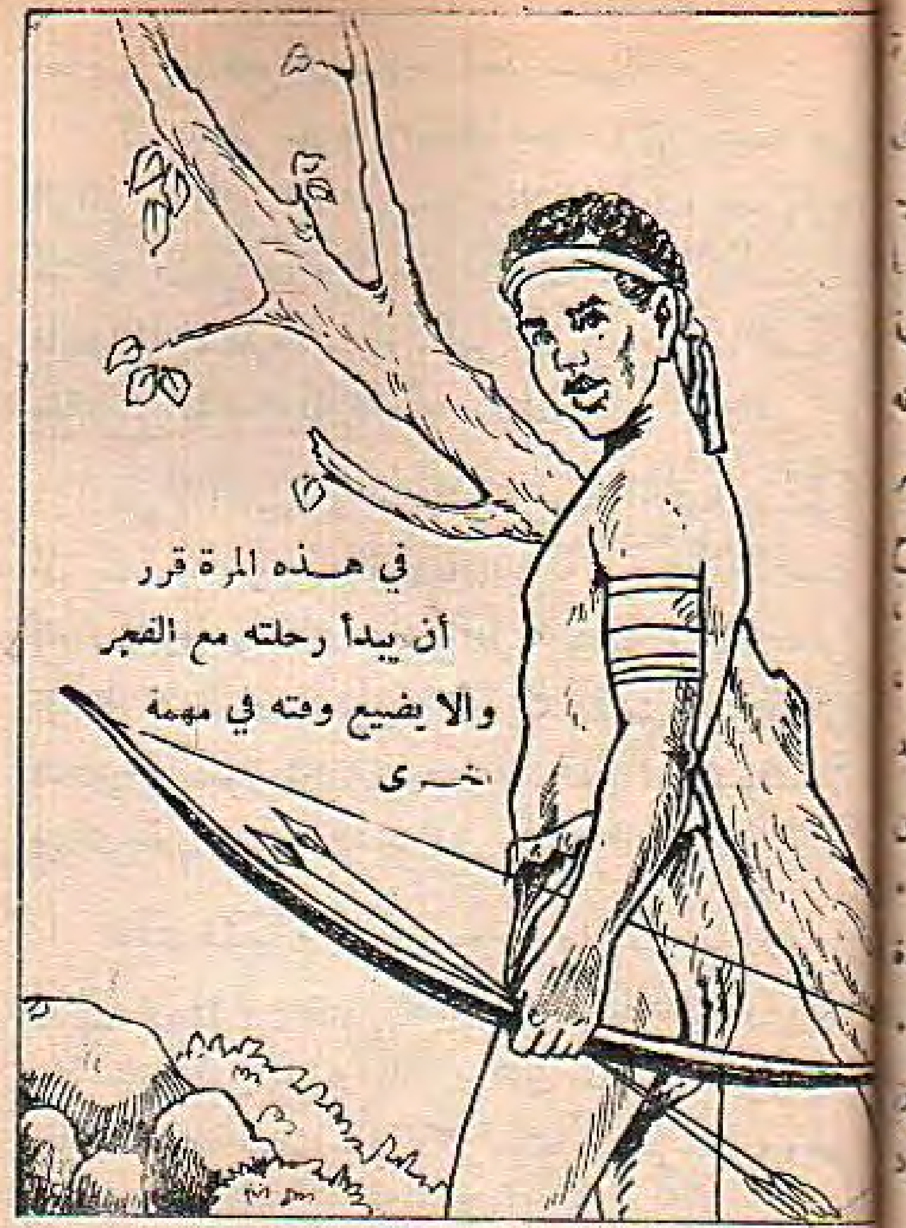
أخذت أمه الارانب الثلاثة وهي تخفي سعادتها في أعماقها ، فخورة بابنها الصغير الذي يخرج وحيدا ويصطاد ما يصعب صيده أحيانا حتى على الرجال . وحين وجدها هكذا أخبرها أنه اكتشف مكانا ملائما للصيد وانه ليس بعيدا عن القرية وأراد أن يخبرها بتل الشيطان ولكنه تذكر ان الرجال أنفسهم لا يحبذون الذهاب الى ذلك المكان فكيف ترى ستسمح له بالذهاب الى هناك ؟

ثم صمت ولم يقل شيئا ولكنه قرر مع نفسه أن يذهب ويذهب حتى يحقق امنيته بالعثور على بيض النسور ، ففي المرة الاولى اعترضته عدة حوادث منعته عن الاستمرار في البحث ، وفي المرة الثانية قضى

نصف الوقت بمطاردة الارانب في السهل القريب عن التلال الصخرية ولم يسعفه الحظ بالعثور على بيضة واحدة منها مع أنه رأى أكثر من عش من أعشاش النسور ، ولكنها كانت خاوية ومهملة .

في هذه المرة قرر أن يبدأ رحلته كالعادة مع الفجر والا يضيع وقته في مهمة أخرى . وهكذا لم يمض على قراره سوى أيام قليلة حتى استيقظ فجرا وحمل معه سلاحه المحبوب « القوس والسهم » والكيس الصغير الذي تركه الفتيان الاربعة حين فروا هاربين من تل الشيطان .

كان الطريق واضحا ومطروقا ، وكان « اكمبا » مع ما يبدو عليه من لامبالاة ، حذرا جدا . عيناه وأذناه على الطريق وعلى الجوانب ، لا يغني ولا يصفر وهو يسير ، بل يسير كما يسير الفهد ، هادئا حذرا لا يسمعه الذي يسير بجواره .



وحين وصل تل الشيطان ذهب الى الجهة الثا
منه واخذ يتسلق الصخور واحدة بعد الاخرى حتى
اقترب من الكهف المظلم ، وكان عريضا من هذا الجانب
يدخله بعض الضوء فلا يبدو معتما ، شديد العتمة . و
ان توغل فيه عدة أمتار حتى زكمت أنفه روائح كريهة
كانت تنبعث من الجوانب ، لقد كان الهواء ساكنا كأنه
لم يتبدل منذ عصور وكانت العظام البيضاء تنتشر
بوضـوح على الصخـور السوداء الداكنـة . راح
« اكبا » ينظر اليهـا بشيء من القرف والاشمئزاز ،
وفكر أن يخرج لينقذ نفسه من هذا المكان الخانق ،
ولكنه ــ كعادته ــ كان عنيدا لا يتردد حين يقرر ، فقد
قرر البحث عن بيوض النسور في هذا المكان ولابد من
البحث مهما كانت العوائق ومهما كانت الصعـوبات .
وحين وقع نظره على بعض العظام دبت في جسده برودة
وقشعريرة ؛ فقد كانت تشبه الى حد بعيد عظام البشر .
وتصور في تلك اللحظة دبا ضخما يخرج اليه من بين
الصخور ويهاجمه ، ثم تخيل نفسه وقد تحول الى مجرد

عظام لا يستطيع أن يميزها أحد بسهولة .

كان المنظر مفزعا والخيال أحيانا أكثر رعبا من الواقع ، ولكن فزعه لم يعد خيالا ولا حلما هذه المرة فها هو يسمع صوتا يأتيه من الخلف . كان الصوت غامضا لا يستطيع تمييزه ، فهو ليس حديثا بين اثنين ولا وقع أقدام ثقيلة كأقدام دب مثلا .

ظل « اكمبا » واقفا ملتصقا بجدار الكهف منتظرا أن ينكشف سر هذه الهمهمة الغريبة . وبلحظات صار الصوت واضحا كأنه ليس بعيدا عنه . كان بعض الرجال يتحدثون فيما بينهم ، ويبدو أنهم جلسوا على احدى الصخور قرب فتحة الكهف وراحوا يتناقشون في أمورهم الخاصة .

مد « اكمبا » يده الى حزامه واستل سهما وضعه في القوس ووقف متهيئا للطوارىء ، فاذا ما دخلوا عليه واكتشفوه فسيردي واحدا أو اثنين منهم ان لم يتركوه يغادر الكهف بسلام ، لم يكن خائفا ولا مرتبكا ، وهو

هكذا دائما . حين يفاجئه موقف معقد يتصرف بهدوء وبمنتهى الحكمة والذكاء .

ولكن الرجال ظلوا ـ كما يبدو ـ في مكانهم وظلت أحاديثهم تدخل الكهف واضحة مسموعة .

قال واحد منهم :

ـ لا نستطيع أن نمضي كل يوم الى المدينة لنبيع تلك الاشياء الرخيصة ، الافضل أن نجمع كل ما نحصل عليه من حلي وجلود وعاج ونخفيه هنا ، وكلما أصبحت لدينا كمية كبيرة من المسروقات ذهبنا بها الى المدينة .

أجابه آخر :

ـ فكرة جيدة ، نتفق على المكان ونضع أحدنا حارسا عليه .

ـ ولماذا نضع الحارس ؟ سنختار مكانا لا يستطيع حتى الشيطان الوصول اليه . ولا أظن أننا نشك ببعضنا .

— حسنا ، لا يوجد أفضل من هذه الصخرة نخفي الأشياء وراءها ونغطيها ببعض الصخور الصغيرة والاغصان .

— اتفقنا على المكان ، لنبحث الآن الخطة جيدا .

كان الحديث بين اللصوص واضحا جدا ، ولم يحتج « اكمبا » الى سماعه كله ليعرف ما الذي خبأه هؤلاء وماذا يريدون أن يخبئوا . ولكن عندما وصل حديثهم الى بحث خطط السرقة . فتح أذنيه جيدا وراح ينصت اليهم باهتمام كي لا تهرب كلمة واحدة .

قال احدهم ويبدو انه الرئيس لان حديثه كان قاطعا وكان الآخرون يحرصون على أن لا يقاطعوه : « كما شرحت لكم الخطة سابقا . يلبس « باكو » ملابس السحرة ويأخذ معه أدواته وعدته كاملة ويدخل القرية التي تتفق على سرقتها بعد أن يغادرها الرجال طبعا ، ويختار له مكانا منعزلا وينادي بأعلى صوته حين يجتمع حوله النساء والاطفال والشيوخ يخبرهم عن قدرته وسحره ولا بأس من أن يخبرهم بأنه يستطيع

أن يداوي أخطر الأمراض وأنه لا يأخذ أي ثمن لذلك الا بعد أن يتحقق المريض من شفائه شفاء كاملا . وحين يقتنع الجميع في القرية من انه ليس دجالا كذابا يخدع الناس ويبتز منهم الاموال ، لانه لن يتقاضى عما يعطى من علاج ودواء الا بعد الشفاء يتجمهر الناس حوله فينظر في حالاتهم واحدا واحدا ويوزع عليهم من تلك الادوية التي جئنا بها من المدينة . في تلك الساعة نكون نحن قد أنهينا مهمتنا بسهولة . وحين يغادر المكان نكون نحن بانتظاره هنا .

— حسنا كل شيء واضح جدا الآن ، وما علينا الا أن نحدد القرى ويجب أن تتم كل ذلك في يومين أو ثلاثة قبل أن يكتشف أمرنا .

أجاب الرئيس مسرعا وكأنهم اتفقوا على كل شيء :

— اليوم قرية « مابو » وقرية « شاكبو » وغدا « لومي » و « تيجاني » .

(٤)

حين سمع « اكمبا » حديث اللصوص وهم يخططون للسرقة كتم غيظه وغضبه بصعوبة ، وما ان سمعهم يحددون القرى التي سيبدأون بها وذكروا قريته العزيزة « لومي » حتى احتدمت مشاعره وجذب السهم بقوة محاولا الاندفاع خلفهم ، ولكنه تذكر في اللحظة الاخيرة أن العملية لم تنفذ بعد ، وان أمامه وقتا مناسبا لمعاقبتهم بل والامساك بهم متلبسين بالجريمة .

وهكذا غادر اللصوص « تل الشيطان » باتجاه قرية « مابو » فيما ظل اكمبا يتجول في الكهف باحثا

عن بيوض النسور دون أن يعثر على شيء منها . وفي طريق العودة راح يفكر بالامر جيدا . هل يخبر اذن أصدقاءه الفتيان الاربعة ؟ ولكن ماذا يستطيع هؤلاء أن يفعلوه ازاء قوة اللصوص وخططهم اللعينة ؟ لابد من عمل حاسم وسريع قبل أن يضيع كل شيء .

هكذا قال « اكمبا » لنفسه وهو يقترب من القرية خالي اليدين من كل صيد . وقبل أن يذهب الى البيت توجه الى الشجرة حيث اعتقد انه سيجد هناك عددا من الاصدقاء يجلسون على جذعها المائل العريض ، غارقين في أحاديث متشعبة ، لا أول لها ولا آخر .

وبالفعل وجد جميع الفتيان هناك .. اصدقاءه الاربعة وولي وأيشاكو وشوينكو والوري ، وعددا آخر من فتيان القرية . حياهم تحيته المعتادة وجلس صامتا كأنه لا يريد أن يشاركهم الحديث . وحين مر بعض الوقت وتفرق عدد منهم بقي اكمبا والفتيان الاربعة فقط . حينذاك فتح « اكمبا » فمه قائلا :

ـ قريتنا في خطر أيها الاصدقاء ٠

لم يثر حديثه المفاجيء اهتماما كبيرا ، خاصة وانه يقول شيئا لا معنى له في رأيهم ٠ أي خطر يتهدد القرية ؟ هل سيسقط عليها نيزك من السماء فيدمرها أم تنشق الارض تحتها وتبتلعها ؟

أعاد « اكمبا » عبارته بلهجة حادة هذه المرة :

ـ أقول لكم نحن وقريتنا في خطر ، ألا تفهمون ؟

ـ طبعا لا نفهم (أجاب ايشاكو) وأضاف :

لماذا لا توضح الامر ٠

قص عليهم « اكمبا » قصة اللصوص كلها من البداية الى النهاية ، كيف ذهب الى تل الشيطان وكيف دخل الكهف ؟ وسمع الهمهمة ، ثم وضوح الصوت وحديث اللصوص وخططهم في سرقة القرى القريبة ومنها « لومي » ٠

سمع الفتيان الاربعة قصة « اكمبا » كاملة ،

وحينما انتهى من سردها بادرة ايشاكو قائلا :

ـ هل تريدنا أن نصدقك بأنك ذهبت الى « تل الشيطان » ودخلت الكهف المظلم ؟

ـ نعم ، ذهبت لوحدي اكثر من مرة الى هناك ٠

ـ ربما في الاحلام ايها الصديق ؟

أجابه وولي وعلى وجهه ابتسامة ذات مغزى ٠

قال « اكمبا » :

بل في الحقيقة ، وأستطيع أن أصفه لكم جيدا ٠

رد الوري هازئا :

ـ تصفه لنا ، لقد وصفناه لكل الفتيان ما يقارب الالف مرة ، هل تريد أن تعيد على أسماعنا ما قلناه نحن لكم مرارا ؟

أجاب « اكمبا » بحدة وقد بدت على وجهه علامات الاستياء من هؤلاء الذين لا يريدون تصديقه ويمعنون في السخرية والاستهزاء به :

ـ اسمعوا ، انا الى الآن لم أسخر منكم واذا

شئت ان أجعلكم أضحوكة أمام الجميع فعلت .

نظر الفتيان الاربعة الى وجوه بعضهم مستفسرين عما يعنيه « اكمبا » في قوله « أجعلكم اضحوكة » . هل أخبره أحدهم بقصة فرارهم من الكهف تاركين الارنبين وكيس الفاكهة بين الصخور وهم الذين اتفقوا فيما بينهم على الكتمان ؟ أم سمع بقصة فزعهم ورعبهم أمام ذلك العملاق الشرير ؟

لابد أن واحدا من الاربعة خان العهد وأخبر « أكمبا » بكل شيء .

هكذا تصور الجميع وانتظروا بفارغ الصبر أن يكشف لهم السر بنفسه ، وبعد أن طال الصمت قال له ايشاكو بهدوء : هل سمعت شيئا عنا حتى تحدثنا هكذا ؟

ــ لا ، بل رأيت بعيني هاتين . ومد أكمبا اصبعه مشيرا الى عينيه .

ــ ماذا رأيت .. أخبرنا ؟ قال ايشاكو ذلك وقد اصفر لونه وشحب .

وبهدوء تام مد « اكمبا » يده الى عبه وأخرج كيس الفاكهة الذي تركه الفتيان الاربعة على الصخور وهربوا .

جمدوا جميعا حين شاهدوا الكيس ، فهو العلامة الواضحة على فرارهم . وتذكروا بعد ذلك أمورا أخرى لم يعيروها انتباها أول الامر . تذكروا انهم شاهدوا الارنبين معلقين على الشجرة ، فمن يا ترى جلبهما غير « اكمبا » ؟ وتذكروا أيضا كيف سحب من حزامه السهم ذا الرؤوس الثلاثة وأطلقه في الفضاء وهو يجلس قربهم على الشجرة نفسها .

اذن هو « اكمبا » الذي أطلق السهم وأصاب الرجل الشرير ، و « اكمبا » الذي كان داخل الكهف ملتصقا بالصخور حين وضع شوينكو يده على عنقه وفر مذعورا كأنه وضع يده بفم أسد .

وحينما اعترف لهم « اكمبا » بكل ذلك لم يستطع احد منهم تكذيبه . لقد أخفى تلك الاسرار عنهم أول الامر لشهامته ونبله ولكي لا يريهم انه الوحيد من فتيان القرية يتمتع بالشجاعة الفائقة والجرأة في المواقف الصعبة . ولما هزئوا منه وسخروا من قصته اضطر لكل ذلك . وها هم الآن يجلسون معه مطأطئي الرؤوس ينتظرون منه أن يقول شيئا يعزز ثقته بهم ، وقد بدا من سكونهم وصمتهم انهم يقدمون اعتذارهم اليه بهذه الطريقة وانهم من الآن رهن اشارته .

(٥)

لم يشأ « اكمبا » ان ينفرد بالرأي بالرغم من انه يمتلك خطة كاملة في القبض على اللصوص . لقد اجتمعوا طويلا وناقشوا المسألة فيما بينهم من جميع الوجوه حتى اتفقوا في النهاية على رأي موحد . كان أهم ما في الخطة هو الا يخبروا أحدا سواهم بالامر ، فهم الخمسة قادرون على مفاجأة اللصوص ونصب الكمائن في طريقهم والقبض عليهم . لذا فقد ذهبوا الى اكواخهم وهم مرتاحون ، متيقنون من نجاح خطتهم لمواجهة اللصوص في الصباح الباكر .

وفي الفراش كان « اكمبا » يستعرض تفاصيل

الخطة في رأسه وقد مد يديه يتلمس الحبال التي جهزها • وراح يتصور العملية في خياله كما لو كانت واقعا حقيقيا •

كانت الخطة هي أن يظل « وولي » و «شوينكو» يراقبان الطريق البحري الذي يؤدي الى القرية و « الوري » و « ايشاكو » يراقبان الطريق الآخر المؤدي الى تل الشيطان والى القرى المجاورة ، فيما يتقدم « اكمبا » مسافة عنهم على ذات الطريق ليعطي الاشارة الاولى لظهور اللصوص • وهي تقليد لصوت أحد الطيور الليلية ، يطلقه « اكمبا » بحدة بحيث يستطيع سماعه الفتيان الآخرون جميعا ، وبعد سماعهم الاشارة يختفون وراء الاشجار ويظلون يراقبون اللصوص وهم يدخلون الى القرية ، فينقسم الفتيان الاربعة الى مجموعتين ، كل اثنين يتبعان أحد اللصوص ، أما « اكمبا » فيتبع اللص الثالث الذي سيمثل دور الساحر •

وحينما تبدأ اللعبة ويعلن اللص الساحر من طرف القرية عن معجزاته الطبية وقدراته السحرية ، يكون « اكمبا » فوق أحد الاشجار يراقبه بدقة الى أن يأتي الوقت المناسب ، يستطيع عندئذ أن يتصرف كما هو متفق عليه بالاشارة • أما الفتيان الاربعة فسيلاحقون اللصين الآخرين وسيمسكون بهما متلبسين بالجريمة ، فهم سيراقبونهما من بعيد • كل اثنين مسلحين ومجهزين بالحبال خلف واحد من اللصوص • وما ان يصعد احدى الاشجار لتفتيش الاكواخ وسرقتها حتى يفاجئاه وهو منحن يجمع الحاجيات ، فيوثقاه بالحبال ويتركاه في الكوخ بعد أن يحكما وثاقه • وحين يكمل الفتيان الاربعة مهمتهم بنجاح يعودون الى الساحر ، وهناك سيتم مع « اكمبا » القبض عليه وشرح اللعبة كلها الى سكان القرية ، وحين لا يقتنع السكان نمضي بهم لنريهم اللصين المحتجزين داخل الاكواخ •

هذه الخطة التي رسمها الاصدقاء الخمسة بالتفصيل ، كانت ـ بلا شك ـ متقنة ومدروسة ولا مجال لفشلها الا اذا غير اللصوص خطتهم في السرقة أو صرفوا النظر عنها وعن تنفيذها نهائيا ، وفي هذه الحالة لا يخسر الفتيان الخمسة شيئا ، فلا أحد من سكان القرية كلها يعرف ما كان يخطط له اللصوص ولا ما كان يخطط له الاصدقاء الخمسة . ولهذا السبب بالذات قرر الفتيان عدم البوح بأي شيء ولاي واحد من السكان عن تلك العملية من أولها الى آخرها .

(٦)

في صباح اليوم التالي استيقظ الاولاد الخمسة وغادروا القرية ليأخذوا أماكنهم حسب الخطة . كل اثنين يراقبان طريقا من الطرق الرئيسة التي تؤدي الى « لومي » . ومضى « اكمبا » سائرا في الطريق متخفيا بين الاشجار وعيناه تراقبان مساحة واسعة من المكان ، فربما تجنب اللصوص الطريق وساروا بين الاشجار زيادة في الحيطة والحذر ، فعليه اذاً الا يظل يراقب الطريق فقط ، بل يراقب الارض التي أمامه كلها ، كي لا يفلت من أمام نظره لص لعين يكون في النهاية وبالا عليه وعلى أهله وسكان قريته .

مضى من الوقت ساعة وساعتان ولم يظهر أي أثر للصوص ، ولما كاد النهار أن ينتصف مر أحد الرجال خارجا من القرية ، وكان يسير هادئا متأنيا ، ولما نظر اليه ايشاكو من وراء الشجرة اندهش لخروجه الى الصيد وهو في هذه الحالة من المرض والاعياء ، انه يعرفه جيدا ، وكيف لا يعرف ايشاكو أباه وقد تركه منطرحا على الفراش ، عليلا منذ يومين .

تقدم « ايشاكو » نحو أبيه متجاهلا « اكمبا » والخطة واللصوص وكل شيء ، وحين صار أمامه وجها لوجه سأله قائلا :

ـ أراك الآن بخير يا أبي ، ولكن لماذا تتعب نفسك وتخرج الى الصيد وانت على هذه الحالة ؟

ـ ها ، انت هنا يا ايشاكو ؟ لماذا لا تذهب الى القرية وترى الطبيب الساحر الحاذق ، لقد جاءنا هذا الصباح وقد عالجني مجانا ... أنه يعالج جميع المرضى دون مقابل .

شحب وجه ايشاكو وهو يسمع أباه يتحدث عن الطبيب الساحر ، ولم يستطع أن يتفوه بكلمة واحدة ، بل أطلق ساقيه للريح باتجاه أصدقائه الآخرين ، وراح يرسل اشاراته الصوتية العالية اليهم للتجمع ، وما ان وصل الباقون وعرفوا التفاصيل كلها حتى توجهوا الى القرية دون اضاعة لحظة واحدة من الوقت ، وحين دخلوا القرية ورأوا التجمع الكبير حول الطبيب الساحر فقدوا الامل بنجاح خطتهم ويئسوا يأسا شديدا ، لكن « اكمبا » الذي اعتاد أن لا يستسلم بسهولة للفشل استطاع أن يوجه المجموعة ويحافظ على تماسكها وثباتها ، وهكذا أمر الجميع بأن يفتشوا الاكواخ بسرعة بحثا عن اللصوص من دون أن يثيروا شكوك أهل القرية . وراح الاولاد الخمسة يتسلقون الاشجار كالسنانيس يبحثون عن اللصوص ، وبأقل من نصف ساعة تم تفتيش الاكواخ جميعها ولم يعثر أحد منهم على أي أثر للصوص ،

وحين عادوا الى الساحر ليلقوا القبض عليه وجدوا الجمع قد انفض توا ، وقد غادرهم الساحر على أن يعود غدا كما وعدهم . جن جنون « اكمبا » واصدقاؤه الاربعة وراحوا يركضون هنا وهنالك بين الاشجار باحثين عن الساحر دون جدوى ، وكان الآخرون ينظرون اليهم وهم يركضون فلا يفهمون شيئا من تصرفاتهم .

وبعد دقائق لا اكثر شقت سكون القرية صرخة حادة خرجت من أحد الاكواخ تلتها صرخات أخرى لا تقل عنها ألما وتوجعا ، وبعد أقل من ساعة اكتشف الجميع ــ وخاصة النساء ــ انهم فقدوا حليهم وحاجاتهم الثمينة ، ولم يستطع أحد من القرية أن يفعل شيئا ، فقد دخل اللصوص وهم غافلون عنهم وخرجوا دون ان يراهم أحد .



(٧)

جلس اكمبا والفتيان الاربعة وراحوا يتناقشون فيما بينهم بهدوء وكأنهم يعدون لعملية جديدة يعوضون بها عن عمليتهم الفاشلة تلك . ولكنهم في هذه المرة أكثر صلابة ودقة ، فلم يضيعوا لحظة واحدة من الوقت بل هبطوا من أعلى الشجرة مسرعين وغادروا القرية تاركين النساء يبكين ويولولن على ما فقدن من حلي وأدوات هي كل ممتلكات القرية الفقيرة البائسة ، وكانت امهاتهم قد فقدن هن ايضا شيئا من الحلي والقلائد الملونة التي كن قد اشترينها من المدينة بأثمان عدد كبير من جلود الحيوانات حيث كان الرجال يصيدونها بجهد وتعب شديدين . قطعوا نصف الطريق

دون أن يتحدث أحدهم الى الآخر . كان أكمبا يسير في المقدمة وعلى بعد خطوات منه يسير الاربعة الباقون. انهم الآن في مأزق كبير وعليهم أن يجدوا الحل المناسب ، فأي فشل بعد الآن يعني بالنسبة لهم خسارة كبيرة لا تعوض ، فاذا أفلت اللصوص منهم ضاعت كل ثروة آبائهم وامهاتهم ، ولن يلوموا بعد ذلك سوى أنفسهم لانهم اختاروا تلك الخطة الفاشلة التي اتمت بتجريد القرية كلها من كل ممتلكاتها المتواضعة ، البسيطة ، ولو كانوا قد أخبروا السكان في حينه لاستطاع هؤلاء عمل شيء يحفظ لهم أموالهم أو على الاقل لم يتركوا أكواخهم تصفر فيها الريح ويتجمهروا حول الساحر اللعين جميعا ... النساء والشيوخ والاطفال .

كان الاولاد الخمسة يشعرون بتأنيب الضمير ، ويدينون أنفسهم لما حصل لسكان القرية بسببهم ، ولهذا كانوا يتقدمون ببسالة وجرأة باتجاه « تل

الشيطان » غير عابئين بأي شيء يعترضهم في الطريق أكان حيوانا كاسرا أم لصا فاتكا ، فقد حملوا معهم سلاحهم ووضعوا نصب أعينهم شيئا واحدا هو استعادة ما سرق من القرية بأي ثمن كان ، ومعاقبة اللصوص العقاب الذي يستحقون .

●●●

كان الوقت عصرا والاولاد ما زالوا يغذون السير مسرعين بين الاشجار المتناثرة ، مبتعدين قدر الامكان عن الطريق ، فهم لا يريدون أن يعيقهم عائق أو يعترضهم قطاع الطرق ، ليس خوفا منهم بل لان هدفهم الآن ليس هذا . هناك فكرة واحدة تسيطر عليهم جميعا هي أن يلتقوا باللصوص ويثأروا لانفسهم ولسكان قريتهم منهم . أما ما عدا ذلك فلا مكان له في رؤوسهم الآن .

وقبل أن يصلوا الى الارض الصخرية حيث تبدأ الاشجار بالتباعد تدريجيا عن بعضها ثم تتضح التلال

واحداً بعد الآخر وحيث يبرز من بينها جميعا التل الداكن الشبيه بالجبل والذي يطلقون عليه بسبب غموضه وقساوة صخوره ومنحدراته بـ «تل الشيطان» .

دوت صرخات طائشة من هنا وهناك وامتلأ الجو بالزعيق والصياح ثم ما لبثت أن انهالت عليهم من جميع الجهات كرات ثقيلة قاتلة استطاعوا بسرعة أن يتداركوها ويختبئوا خلف الجذوع الكبيرة والاحراش .

لم ينقطع انهمار القذائف حتى اختبأوا نهائيا ولم يظهر من أجسادهم أي شيء ، وقتها اكتشفوا ان هذا الهجوم المباغت لم يكن سوى هجوم جماعة من القردة ساءهم مرور هذا العدد من الفتيان المسرعين من تحت مساكنهم فأنهالوا عليهم بحبات جوز الهند الذي لا يقل خطورة وتأثيرا عن الصخور .

احتار الاولاد ماذا يعملون لدرء هذا الخطر الجديد ؟ أيظلون مختبئين داخل الادغال الكثيفة وخلف جذوع الاشجار حتى يأتي الليل فتضيع منهم فرصة

البحث عن اللصوص ؟ أم يقومون الآن معرضين أنفسهم لغضب القردة الذي لا مبرر له ولا معنى ؟

وبعد أن حسب « اكمبا » المسافة جيدا بين مكانهم هذا والتل الاول وجد أنها ليست طويلة جدا ، ويكفي أن يقفز الجميع وباندفاعة واحدة دون توقف عندها يستطيعون الوصول الى هناك قبل أن تتهيأ القردة ثانية للهجوم . هكذا وبأشارات وعبارات هامسة اتفق الاولاد الخمسة على الجري بوقت واحد .. وبالفعل قفزوا جميعا بنفس اللحظة وراحوا يعدون عدوا سريعا ، وحين احست القردة أخذت تقفز هي الاخرى فوق اشجار المانجو وجوز الهند مذعورة وأخذت تعدو خلفهم مسطرة المنطقة كلها بوابل من قذائف جوز الهند ، لكن أحدا منهم لم يصب بأذى بل وصلوا بعد دقائق الى التل الاول فوقفوا يستريحون وهم يلهثون من شدة الجري في أرض غير مستوية وبين الاحراش والادغال الكثيفة الشائكة . وبعد برهة

بدأوا يتقدمون بحذر ثم أخذوا يتسلقون الصخور الداكنة السوداء واحدة بعد الاخرى ، وكلما صعد أحدهم ساعد الآخرين على الصعود والتسلق حتى اقتربوا من الطرف الثاني من الكهف المظلم لتل الشيطان .

ظلوا مختبئين خلف احدى الصخور الكبيرة فيما راح « اكمبا » يتقدم صوب صخرة اللصوص وقد هيأ قوسه كعادته مستعدا لاطلاق السهم في لحظة الخطر . لم يبق سوى أمتار قليلة تفصله عنهم الآن ، وما عليه الا ان يعبر احدى الصخور الكبيرة فيقف امامهم وجها لوجه ، في تلك اللحظة سيرفع قوسه مهددا حيث يكون الاولاد الاربعة الآخرون يقفون خلفه بكامل معداتهم استعدادا لاسناده ومساعدته ، وبينما هو يفكر في لحظة المواجهة بينه وبين اللصوص تذكر خطته تلك وكيف انتهت الى الفشل الذريع ، حيث غير اللصوص طريقهم ودخلوا القرية من الوسط

متحاشين المرور من الطريق العام • ترى ماذا سيعمل لو تصرف اللصوص الآن بنفس الطريقة وبدلا من أن يأسرهم يقع هو واصحابه اسرى بيد اللصوص •

لم يسمح « اكمبا » لاحلامه وتخيلاته بأن تفسد عليه تنفيذ خطته الجديدة ، فقفز وبلحظة خاطفة صار بمواجهة الصخرة التي اتفق اللصوص على اخفاء الاموال المسروقة خلفها ، ولكنه فوجىء بعدم وجود أي منهم في تلك الساعة •

أين ترى ذهبوا وقد سمعتهم بأذني يتفقون على الاجتماع هنا بعد اتمام عمليات السرقة ؟

كان « اكمبا » ما زال يحدث نفسه حين اقترب منه اصدقاؤه الاربعة فطلب منهم أن يزيلوا بعض الاعشاب والاشواك والصخور الصغيرة من خلف تلك الصخرة الكبيرة وما ان فعلوا حتى فاجأهم منظر أثار دهشتهم وجعلهم يقفون مذهولين متعجبين • لقد رأى الفتيان مجموعة من الجلود الثمينة مطوية بعناية

ومخفية وراء الصخرة ورأوا أيضا عشرات القلائد الملونة والحلي الفضية والخرز موضوعة بعناية في أحد الاكياس ، وكان هناك أيضا عدد من أنياب الخنازير والذئاب ونابان كبيران من العاج وضعت كلها في كيس آخر •

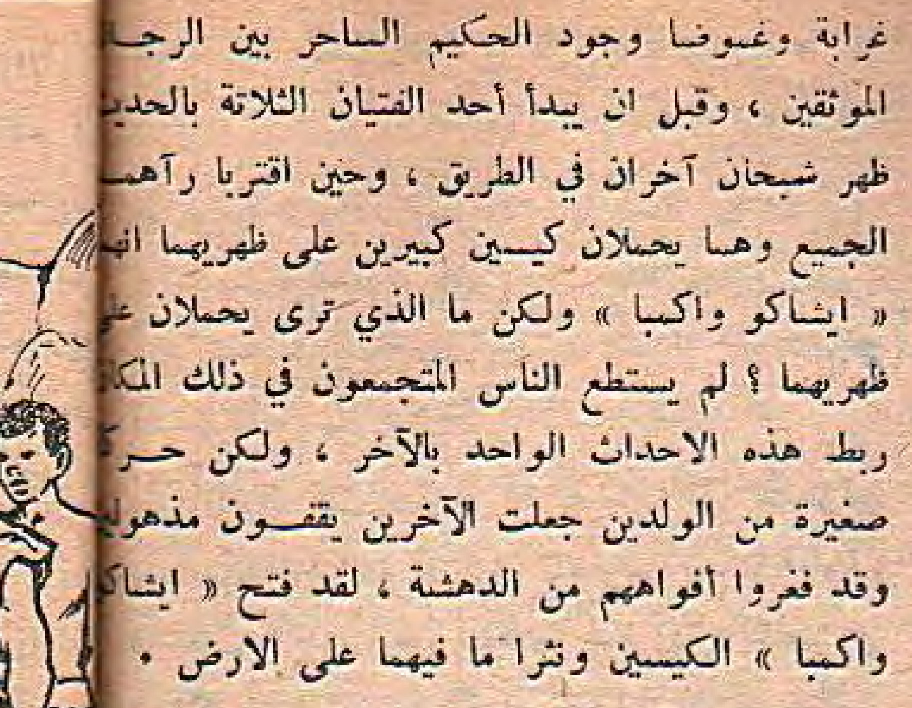
أخذ الفتيان يجمعون تلك الاشياء وهم فرحون ، فقد عثروا على كنز يعادل خمس مرات ما سرق من سكان القرية جميعا ، وبينما هم منشغلون بالجمع طرق سمعهم حديث بين رجلين يتناقشان بأمر غير مفهوم ، فلم يستطع الاولاد أن يعيدوا كل شيء الى مكانه بل قفزوا مسرعين واختبأوا خلف احدى الصخور بالقرب من ذلك المكان • وما هي الا لحظات حتى خرج ثلاثة رجال تبدو عليهم علامات الشر والقسوة ، وفوجىء الجميع بالرجل الشرير الذي سبق ان اعترض طريقهم قبل مدة وقد لبس ملابس السحرة والمشعوذين مؤديا دور الساحر الحكيم ، وهو ما زال

يشد ذراعه بسبب الجرح الذي خلفه السهم حين أطلقه « اكمبا » عليه لينقذ أصدقاءه منه •

ولما وصل اللصوص ووضعوا الجلود الثمينة والكيسين المليئين بالمسروقات على الصخرة ليضيفوا اليها ما حصلوا عليه من جولتهم الثانية ندت عن أحدهم صرخة مكتومة ، فقد اكتشف ان هناك يدا عبثت بأموالهم ولما نظر الثلاثة الى كنزهم تأكدوا ان اليد التي عبثت فيه هي يد انسان ، فلا يمكن لاي حيوان ان يفعل ذلك ، فالقلائد الجيدة والحلي الثمينة معزولة عن الخرز والعظام ، ومثل ذلك من فعل الانسان لا الحيوان •• وما كاد اللصوص يتهيأون للبحث عن الفاعل حتى صرخ بهم « اكمبا » وهو يقفز على صخرة أعلى منهم قليلا ممسكا بالقوس في يده وقد شد على وتره متهيئا لاطلاق السهم الى رقبة كل من يتحرك منهم • ووقف الاربعة الآخرون يحيطون باللصوص موجهين نبالهم القاتلة اليهم •

(٨)

في المساء كان سكان القرية ما زالوا مشغولين
مومهم وأحزانهم بعد أن فعل اللصوص بهم ما فعلوا ،
عدا خمسة بيوت ظل سكانها يفكرون بأبنائهم غير
ين بكل ما فقدوا من أموال • وقبل ان يخيم الليل
م الظلام الغابة كلها شاهد بعض سكان قرية
ومي » ستة أشباح تتحرك من بعيد فتجمعوا بانتظار
راب هذه الاشباح منهم ، وما هي الا لحظات حتى
عدد كبير من سكان القرية ينظر الى الفتيان
ة « وولي وشوينكو والوري » وهم يقودون
نهم ثلاثة رجال موثقين بالحبال • ومما زاد الامر



لقد زاد الامر غرابة وجود الحكيم الساحر بين الرجال الموثقين

غرابة وغموضا وجود الحكيم الساحر بين الرجا
الموثقين ، وقبل ان يبدأ أحد الفتيان الثلاثة بالحدي
ظهر شبحان آخران في الطريق ، وحين اقتربا رآهم
الجميع وهما يحملان كيسين كبيرين على ظهريهما انه
« ايشاكو واكمبا » ولكن ما الذي ترى يحملان عل
ظهريهما ؟ لم يستطع الناس المتجمعون في ذلك المكا
ربط هذه الاحداث الواحد بالآخر ، ولكن حركة
صغيرة من الولدين جعلت الآخرين يقفون مذهول
وقد فغروا أفواههم من الدهشة ، لقد فتح « ايشاك
واكمبا » الكيسين ونثرا ما فيهما على الارض .

عقدت الدهشة ألسنة الجميع مما رأوا ، فقد
أصبحت الارض مليئة بالحلي الفضية والقلائد والعا
والخرز الكثير الملون الذي لا يكاد يرى بوضو
بسبب عتمة المساء .

نظر الجميع الى الاولاد الخمسة بأعجاب شدي
واستغراب ، وقبل أن يستعيد كل واحد منهم ما سر

منه اللصوص أرادوا أن يعرفوا لماذا أوثق الاولاد
الرجال الثلاثة ومنهم الطبيب الساحر الذي قدم لهم
العلاج والدواء مجانا ، وحين مد أحدهم يده يريد
فك الوثاق منه صرخ « اكمبا » معترضا ، وبعد فترة
قصيرة كانت كل العيون تتجه الى « اكمبا » لتوضيح
الامر . في تلك اللحظة بدا الاستياء والامتعاض على
وجوه البعض فغادروا المكان قبل أن يسمعوا « اكمبا »
يروي حكاية اللصوص بالتفصيل .

(٩)

ما ان أكمل « اكمبا » حكاية اللصوص وكيف اتفقوا
« تل الشيطان » على سرقة القرى الاربع « مابو
شاكو وتيجاني ولومي » وخطتهم اللعينة في ابعاد
الناس عن بيوتهم في وضح النهار بجعلهم يتجمهرون
حول الساحر الطبيب الذي يعالج ويوزع الدواء
مجانا . أقول ما ان اكمل «اكمبا» حكايته الى نهايتها
حتى قام عدد من الرجال وساقوا أمامهم اللصوص
الثلاثة ليربطوهم الى جذوع الاشجار حتى الصباح ،
الى ان يذهب من يخبر القرى الثلاثة الاخرى التي
تعرضت لنفس السرقة ليأتوا ويتعرفوا على أموالهم

وليتأكدوا منهم ان كان الطبيب الساحر قد مر عليه
في نفس اليوم أم لا ؟ وكذلك لم ينس أحد الرج
المسنين ان يصيح بأعلى صوته قبل أن يبتعد الرج
باللصوص الثلاثة كثيرا طالبا نقل كل المسروقات ا
المعبد لفرزها وتوزيعها غدا بحضور جماعة من القر
الثلاثة الاخرى .

كان « اكمبا » واصدقاؤه ايشاكو و و
والوري وشوينكو ينظرون بأعينهم فقط دون أ
يستطيعوا عمل شيء معين ، فما تبقى من الا
لا علاقة لهم به فالرجال الكبار هم الذين يتصرف
بالمال وهم الذين يحددون نوع العقوبة التي ست
باللصوص . لكن موقف بعض الرجال الذين غادر
المكان معترضين على شد وثاق الساحر الطبيب بالح
قد أثار « اكمبا » وجعله يتوقع حدوث أشياء جديدة
طارئة ، لهذا قرر بينه وبين نفسه ان يظل ير
اللصوص حتى الصباح ، ولكنه تريث في الامر

ضي وقت العشاء مع أهله في الكوخ ثم يتسلل من
راشه بعد أن يمضي الجميع الى النوم .

وبالفعل ظل « اكمبا » مع أهله وقت العشاء ،
هم فرحون به فخورون بجرأته الكبيرة وشجاعته
تي كانت سببا في انقاذ القرية من شرور وسرقات
ثيرة .

طالت الجلسة مع الاهل ساعة وساعتين ثم قدم
ض الجيران لزيارتهم مهنئين البطل وأهله بعد أن
سمعوا بالقصة من آخرين وأعلنوا عن رغبتهم في سماعها
من « اكمبا » نفسه والحوا عليه بذلك فلم يستطع
ض .

وجد « اكمبا » نفسه بين مجموعة كبيرة من
ص والجيران وهم صامتون متلهفون لسماع كل
كة يقولها ، وحين أتم حديثه وأجاب عن الاسئلة
رجة اليه من هذا ومن ذاك تثاءب وأسند ظهره

الى جدار الكوخ ليوحي لهم بحاجته الى النوم وليرى
مقدار الجهد والتعب الذي بذله خلال اليوم • نجحـ
هذه الحيلة البسيطة ، فقد استأذن الجيران للخروج
ثم قام الاهل واحدا بعد الآخر وذهبوا الى النـ
ومضى معهم « اكمبا » فدخل كوخه الصغير وانـ
في الفراش •

بعد ساعة من الوقت وحين تأكد ان الجميع
غطوا في نوم عميق قام من فراشه وغادر الكوخ بمنتـ
الحذر والهدوء ثم هبط عن الشجرة بخفة سنجـ
ومضى مسرعا الى المكان الذي أوثق فيه اللصوص
وما ان وصل الى هناك والقى نظرة سريعة على جذو
النخيل التي تشبه الاشباح الفارعة الطول حتى نـ
عنه صرخة مكتومة ، فقد حدث ما كان يتوقع حدوثـ
وها هما السجينان الآخران مربوطان بالنخلتين ، أمـ
الساحر الطبيب فقد فك وثاقه وهرب •

كان « اكمبا » يعرف باحساسه الذي لا يخطـ

ان هؤلاء الرجال الذين أعلنوا عن اعتراضهم واستيائهم
من شد وثاق الساحر الطبيب لابد أن يذهبوا اليه
ويطلقوا سراحه ، ولو ان اهله وجيرانه لم يمنعوه
ـ دون قصد منهم ـ بالحاحهم على سرد الحكاية من
أولها لكان قد ذهب الى هناك وسهر على حراستهم
الى الصباح ومنع اي واحد من الاقتراب منهم أو فك
وثاقهم ومساعدتهم على الهرب ، ولكن الذي حصل
قد حصل ، وما دام الليل في بدايته فكل شيء سيكون
على ما يرام •

هكذا قال « اكمبا » في نفسه ومضى الى كوخه
ثانية ، لكنه عاد مسرعا حاملا معه مجرفة صغيرة •
لقد خطرت على باله الآن فكرة غريبة ولابد من
تنفيذها بسرعة قبل أن يضيع كل شيء • فكر أن يشرك
معه اصدقاءه الاربعة لكن الوقت الآن لا يسمح بذلك ،
فكيف يستطيع استدعاءهم وكيف يستطيعون مغادرة
بيوتهم ؟ ثم أنهم قد يكونون نياما الآن ، فالافضل أن

يعتمد « اكمبا » على نفسه ويمضي في تحقيق فكرتـه وحيـدا .

وهكذا غادر القريـة تحت جنـح الظلام سالكا بعض الممرات المطروقة في الغابة متجها الى مكان يعرفه هناك . كان يتوقع حدوث شيء معين ولهذا كان يبني خططه على هذا الاحتمال وهذا التوقع .

(١٠)

سنعود قليلا الى الرجل الشرير الذي مثل دور الطبيب الساحر وكسب رضا الناس في قرية « لومي » حيث استطاع أن يداوي بعضهم مجانا ، ولـو كان الناس يعرفون الادوية الرخيصة التي وزعها عليهم ، ويعرفون أيضا أن العملاق هذا لا علاقة له بالطب وانه كان يوزع الدواء حسب مزاجه وكيفما يشاء لغضبوا منه وانقلب حبهم له الى حقد وكره شديدين . لكن الذي وقع عكس ذلك تماما ، فالبعض من المرضى قد شفي بالصدفة ، أو لانه لم يكن يعاني مرضا حقيقيا ، فحين أعطاه العملاق شيئا من الدواء زال مرضـه الوهمي واعتقد انه قد شفي منه .

وهكذا حين علم هؤلاء أن « اكمبا » والاولاد الآخرين قد ألقوا القبض عليه لانه كان يتجول هناك في تلك الفترة ، وانهم يتهمونه بالسرقات التي حدثت في نفس اليوم استشاطوا غضبا وغيظا وكتموا غضبهم وغيظهم ولكنهم قرروا انقاذه بأية وسيلة كانت حتى لو أدى ذلك الى نشوب معركة بينهم وبين رجال القرية الآخرين . وبالفعل تم انقاذه من بين اللصوص الثلاثة وقادوه حتى خرجوا به من القرية مسافة طويلة كي يضمنوا سلامته ، وحين تركوه وعادوا ، جلس العملاق الشرير على جذع شجرة في ظلام الغابة وراح يفكر في نفسه وفي أصحابه الذين ما زالوا موثقين على الاشجار دون حراسة .

كان العملاق الشرير يخاطب نفسه كأنه يعنفها :

ـ هل يمكن أن تذهب كل هذه الجهود هباء ؟ وبلحظة قصيرة يفر الكنز من بين أيدينا .. تأخذه منا حفنة من الاطفال الصغار ؟ هل من الصواب أن أترك

مثل هذا الكنز الثمين يهرب من بين يدي دون أن أعمل شيئا لاسترداده ؟ ثم كيف اترك صاحبيّ الى الصباح مهددين بالموت هكذا ؟ فمن يضمن سلامتهما الى الصباح وهما موثقان معرضان الى لدغات الافاعي السامة والعقارب والى فتك حيوانات الغابة المفترسة ؟

لا ... لابد من الذهاب الآن لانقاذهم وانقاذ المال الذي أرسلوه الى المعبد . لقد سمعت ذلك الرجل يأمرهم بحفظه هناك حتى الصباح . سوف لن يطلع الصباح على قرية « لومي » بسلام ، سيكون عقابهم بعد ذلك شديدا ، وسيرون ان انقاذ صاحبي واستعادة المال ليسا كل ما افكر به الآن ، فالعودة الى « لومي » في هذا الظلام الدامس ستكون شديدة القسوة عليها وعلى سكانها النائمين فوق الاشجار ، سأجعل النار تلتهمهم هم وأشجارهم دون أن يستطيعوا مس الارض بأقدامهم .

في تلك اللحظة قام العملاق الشرير متوجها الى

« لومي » ثانية . وفي رأسه أفكار سوداء أكثر سوادا من أفكاره السابقة ، فقد قرر في أعماقه هذه المرة الا يغادر « لومي » الا وقد تركها خرابا .

ظل يسير في طرق الغابة دون حذر فهو لا يخشى بشرا في هذا الوقت المتأخر من الليل لعلمه أن الناس لا يمتلكون جرأته ويخرجون ليلا في الاحراش ولانه يستطيع رؤية الحيوانات المفترسة بسهولة لو داهمته ، فكل الحيوانات الليلية الخطرة تشع عيونها كاللهب في الظلمة فلا يحتاج اكتشافها الا أن يدقق النظر في جوانب الطريق أو أن يكون حذرا من اثارتها وهي جالسة تستريح، فليس هناك حيوان من تلك الحيوانات المفترسة تنام في الليل ، وهذه حقيقة يعرفها العملاق جيدا ، لهذا مضى مسرعا لكسب الوقت أولا ولكي لا يعطي فرصة سانحة لبعض الوحوش من التأهب ومباغتته بهجوم مفاجىء .

وفي وقت لم يستطع تحديده بالضبط وصل الى

طرف القرية ؛ لقد عرف ذلك من المساحة الخالية العريضة التي ترتفع فيها بعض الاشجار الضخمة حيث تقع الاكواخ هناك ، في تلك اللحظة بدأ العملاق هادئا في مشيه ، حذرا من أن تصطاده عين ساهرة لاحد شيوخ القرية أو احدى عجائزها المسنات .

حين اقترب من المعبد وكان منعزلا عن بيوت الناس قليلا شاهد رجلا يقف جواره وبيده فأس من تلك التي تستطيع قطع رأس ثور بضربة واحدة .

لقد تأكد له الآن ان الاموال كلها داخل المعبد وان وجود حارس في هذا الوقت من الليل لهو الدليل الكافي لوجود المال .

انتظر في مكانه ساعة وساعتين يراقب الحارس لعله يتعب وينام ، ولكن الحارس كان متيقظا جدا ، وبين فترة وأخرى كان يقوم ويدور حول المعبد ليتأكد من أن ابوابه مغلقة ، وأن أحدا من اللصوص لم يقترب منه . ويبدو ان الليل صار أطول مما ينبغي . وأن سحر

النوم لا يقاوم فما هي الا فترة من الوقت حتى مد الحارس ساقيه الى الارض وأسند ظهره الى جدار المعبد وراح يغط في نوم عميق .

حين تأكد العملاق بأن الحارس قد قطع صلته تماما بالمعبد وبالمال وأنه الآن غارق في نومه سابح في أحلامه تقدم بحذر شديد كما يتقدم نمر جائع الى فريسته وبضربة واحدة على مؤخرة رأس الحارس جعلته يغيب عن الوعي . وبدقائق كان الكيسان المملوءان بالجلود والعاج والحلي على ظهر الرجل الشرير وهو خارج المعبد .

بقي أمامه الآن شيئان .. أن ينقذ صاحبيه الموثقين الى جذوع النخيل واللذين يعانيان الآن آلام وهواجس لا تحتمل ، وتنفيذ العقاب الصارم بقرية « لومي » وبكل من فيها من السكان ، وقف لحظة يفكر .. واللص عادة في مثل تلك اللحظة يفكر ويزن الامور كما يفعل اللص حقا ، ولكي يكون جديرا بهذا

الاسم فلابد له أن يتصرف وفق منطق اللصوص وأخلاقهم ، وهكذا فعل العملاق فما دام يحمل كيسين ممتلئين بالمال فلا معنى للصداقة في رأسه ، بل ان انقاذ صاحبيه في ذلك الوقت خسارة كبيرة له ، ألن يطالباه باقتسام الغنائم بعد ذلك ؟ بالتأكيد ، وهل ستذهب كل هذه الثروة له وحده وهما اللذان شاركاه في جمعها وحملها من اكواخ أربع قرى فقيرة ؟

اذاً لتذهب الصداقة الى الجحيم ؟ ماذا كانوا ينتظرون من صداقة لص مثلهم ؟

هكذا قال العملاق محدثا نفسه قبل أن يغادر القرية ناسيا أو متناسيا ازال العقوبة بحقها وحق سكانها جميعا ، فأن ذلك يؤثر عليه ايضا . فالنار المتأججة قد تكون سببا في ايقاظ البعض ، وبالتالي قد تكون سببا في رؤيته واكتشافه .. وهكذا أجل موعد حرق « لومي » الى وقت آخر مكتفيا الآن بما كسب من مال يستطيع بعد ذلك حتى لو حصل اللعان

الآخران على حريتهما أن ينكر قيامه باستعادته من
المعبد : فليس هناك شاهد واحد استطاع أن يراه أو
يكتشفه •

وفي العودة بدا الطريق طويلا بعض الشيء سيما
وأنه يحمل على ظهره كيسين مثقلين بالعاج والجلود
وأشياء أخرى ، وفوق هذين الكيسين كان يراقبه كما
يبدو وحش مفترس ويتحين الفرص للانقضاض عليه •

لقد كانت زمجرة الوحش تصله من اليمين فينحرف
يسارا ومن اليسار فيمضي يمينا حتى قاده الوحش الى
طرق لم يفكر العملاق بارتيادها ، ولكن لا بأس ،
فبعد ساعتين ويطلع النهار ولا يهمه بعد ذلك ان يكون
قد أخطأ الطريق أو أضاع هدفه الذي يحاول ان
يذهب اليه ، فهو يستطيع أن يغير اتجاهه في الصباح
الى ذلك المكان طالما هو يعرف دروب الغابة دربا دربا •

وقف يدقق النظر ويستريح من عناء ما يحمله من
اثقال فتعجب لانه لم ير عينين تشعان بين الاشجار ، فلو

كان الوحش يقصده هو بالذات ويتجه هو بالذات
لتمكن من رؤية عينيه المتوقدتين • اذاً لماذا لم تظهرا ؟
هل يجوز انه يتوهم ذلك ؟ وكيف يتوهم وها هو
الصوت يأتيه واضحا قريبا كزمجرة الفهد ؟ الآن تسرب
الخوف الى قلب العملاق الشرير فهو يعرف غدر الفهد
وشراسته وقد لا يحتاج الى اكثر من غمضة عين خاطفة
لينقض عليه ويفتك به •

وحين دقق ثانية في جميع الجوانب ولم ير أي أثر
لعيني الفهد اطمأن قليلا ، ولكنه ما ان استدار ليكمل
سيره حتى جاءته الزمجرة المخيفة وكأنها من خلفه تماما
عندها قفز العملاق الى الامام خائفا مرتعدا ، وبلحظة
خاطفة أحس انه قد سقط في هوة عميقة لم يحس بعدها
الا وقد انهارت عليه الصخور الصغيرة والتراب ،
وتكوم هو في اعماق الحفرة وفوقه سقط الكيسان
المليئان فأصابته أنياب الفيل الثقيلة في رأسه وكادت
تهشمه • بعدها ساد الصمت والسكون المكان كله ،



وقام العملاق الشرير متوجها الى « لومي » ثانية

وفجأة أحس العملاق الشرير ان هناك كائنا يدوس على الاغصان والاعشاب فتتكسر تحت أقدامه ثم ظن انه سمع همهمة قصيرة مكتومة وبعدها ساد السكون من جديد .

(١١)

طلع الصباح على قرية « لومي » بحدث جديد لم يحسب له حساب . فقد شاع خبر هروب الساحر الطبيب ، وتجمع الناس حول الحارس المسكين وهو ما زال مغميا عليه والدم الجاف يصبغ وجهه ورقبته ، واكتشف الجميع ان المال بأكياسه قد سرق ثانية من المعبد .

ما العمل الآن وقد اتضح بشكل لا يقبل الشك ادعاء الساحر وكذبه ، فهو الذي فعل كل ذلك ، ولكن فات الاوان لعمل شيء ، ولا ينفع اللوم هؤلاء الذين وقفوا مذهولين أمام المعبد وهم الذين فكوا وثاق

العملاق ورافقوه حتى خرج مبتعدا عن القرية ؛ انهم الآن في مأزق كبير خاصة وان « أكمبا » الذي حذرهم وفضح زيف ذلك الشرير ما زال واقفا مع الجمع صامتا لا يقول شيئا ، فماذا يقول اكثر مما قال ؟ لقد روى لهم الحكاية من بدايتها ، وكان قد شهد تفاصيلها مشهدا مشهدا ، وجاءهم بالمال في الاكياس وباللصوص موثقين بالحبال ، فماذا كان يتوقع رجال القرية اكثر من ذلك ؟

ظل « أكمبا » صامتا فترة من الوقت حتى سكن الجميع وهدأ الرجال الذين أغاظهم هذا الفعل السيء فكفوا عن الضجيج والضوضاء ، وانتظروا أن يقدم الرجال المجربون وكبار القرية رأيهم في الموضوع ليبدأوا البحث ثانية عن هذا اللص الذي أضاف الى جريمته السابقة جريمة جديدة بالاعتداء على الحارس المسكين .

في تلك اللحظة فقط تحرك « اكمبا » من مكانه متقدما صفوف الرجال حتى صار في وسط الجمع ورفع يده طالبا السماح بالكلام .

نظر الجميع الى « اكبا » مفسحين له المجال ليقول ما لديه . رآه الاولاد الاربعة ايشاكو والوري و وولي وشوينكو ، ورآه أهله وأصدقاؤه وكل الذين سمعوا الحكاية على لسانه في الليلة الماضية . كانوا ينتظرون منه أن يقول شيئا ، فلابد أنه سيقترح خطة جديدة مضمونة للقبض على اللص .

طال صمت « اكبا » وطال انتظار الآخرين له حتى كادوا يضحكون من صمت هذا الفتى الشجاع الذي يتصرف كما يتصرف الشيوخ الحكماء المجربون وفجأة قال كلمته التي حيرت الجميع :

ـ لا تجزعوا .. لم يهرب اللص .

« ماذا » صرخ بعضهم غير مصدق وأسمعه بعضهم الآخر كلمات هازئة ساخرين منه ومن قوله الذي جاء بعد تفكير وصمت طويلين .

قال شيخ القرية : ماذا تقول يا اكبا ؟ اللص فك

وثاقه وهرب والحارس مطروح على الارض كما رأيت وباب المعبد ما زال مفتوحا ولا أثر للبال بداخله ؛ فماذا تعني بأن اللص لم يهرب .

صمت « اكبا » ثانية وقد علت وجهه ابتسامة غامضة ، ثم شق الجمع وسار الى الامام طالبا منهم جميعا أن يتبعوه .

ظل « اكبا » يسير في ممرات الغابة ومجموعة كبيرة من الرجال والنساء والاطفال يسيرون خلفه ولا يعرفون الى أين يمضي بهم ، وماذا يريد من كل ذلك ؟ ثم فجأة وقف أمام أحد الكمائن القديمة التي صنعها الرجال لاصطياد الحيوانات المفترسة ، وحين وقف الجمع جواره أشار باصبعه الى الحفرة ، وما ان تقدم بعضهم ونظر الى الداخل حتى فوجئوا بالمشهد الغريب أمامهم .

« كان الساحر الطبيب يجلس مذعورا في قعر الحفرة العميقة كأنه ضبع جريح » .

اذا لقد سقط المجرم في الفخ وها هم يقودونه بمظاهرة صاخبة الى القرية بعد أن اخرجوه بالحبل من الحفرة وأخرجوا معه المسروقات التي حملها من المعبد •

وحين وصلوا به الى القرية كان يجر ساقيه جرا من أثر الجروح والكدمات التي يعاني منها بسبب سقوطه المفاجيء وكان « اكمبا » محمولا على الاعناق، وحين جمعوا اللصوص الثلاثة وأوثقوهم جيدا تركوهم في المعبد تحت الحراسة الشديدة ، وبعثوا رسلا الى القرى الثلاث الاخرى ليخبروهم بالامر •

في تلك الساعة اجتمع عدد كبير من سكان قرية « لومي » ليستمعوا الى بطلهم الصغير « اكمبا » وهو يروي لهم قصة المطاردة الخفية التي قام بها في الليل متتبعا اللص ، وكيف كان يقلد زمجرة الفهد ليقوده الى الحفرة التي عمقها « اكمبا » ثانية في الليل حتى استطاع في النهاية أن يجعله يمر فوقها فيسقط فيها ويتركه هناك حتى الصباح •